

الهيئة المصرية العامة للكتاب

عبد المنعم، انتصار.
حكايتى مع الإخـوان: مـذكـرات أخت سـابقـة/
انتصار عبد المنعم. ـ القاهرة : الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ٢٠١١.
٢٢٤ ص ؛ ٢٠ سم.
تدمك ٩ ١٦ ٢٠٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الإخوان المسملون.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٣٨٢/ ٢٠١١
I. S. B. N 978 - 977 - 207- 16 - 9
ديوى ٢١٧,٦

حكايتى مع الإخوان

مُذكِّرات أخت سابقة

انتصار عبد المنعم



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١١

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : حكايتى مع الإخوان
"مذكرات أخت سابقة"
تأليف : انتصار عبد المنعم
الطبعة الأولى : ٢٠١١م

الإخراج الفنى : أميمة على أحمد
تصميم الغلاف : هبة حلمى

الإهداء

إلـى مدينتى القاسية ......

كموج البحر

الحَنُون....

كحضن قبر.... يضم أمى

إلى مدينة إدكـو

الفهرس

الفصل الأول

(١)

مقدمة لا بد منها

سأحكى تجربتى فى صفوف أخوات جماعة الإخوان المسلمين، ليس من باب التجريح والمهاجمة ولكن من باب المكاشفة.

قد يعتبرون حديثى هذا خيانة أو انشقاقًا عن الصف، ولكنى أعتبره نوعًا من جَلْد الذات.

إنه نوع من نقد الذات للجماعة التى بدأت تحيد عن أهدافها التى طالما آمنت بها قبل أن أعرفهم عن قرب. لقد آمنت بمبادئهم قبل أن أدخل إلى صفوفهم، ولكن عندما أصبحت منهم، كفرت بهم، وبطريقة تفسيرهم لتلك المبادئ وفق أهوائهم ورغباتهم التى تتغير وتتلون بلون الجو العام المحيط بالجماعة فى كل مرحلة من مراحل تطورها، منذ غياب الإمام حسن البنَّا مؤسس الجماعة وحتى الآن. قد أكون حالة شاذة واحدة، ولكنى حالة واقعية جدًا، ولا أتحدث إلا عن نفسى وعن تجربتى.

قد أكون مجرد عضو ثبت فساده من وجهة نظرهم، ولكن كانت لى تجربة فعلية عشتها بكل ما فى كيانى من حماس، وعانيت منها بكل ما حمله القلب من ألم.

أتحدث هنا عن تجربة فردية لا أعممها حتى أكون موضوعية. فلربما أكون الأخت الأولى التى تنشقُّ عن الجماعة وتختار الابتعاد عنهم، فالأخوات تم تدجينهن جيدًا منذ زمن بحيث أصبحن لا يُعملن عقولهن أبدًا؛ فمجرد إبداء الرأى ومناقشة الخطط الموضوعة من الإخوة الرجال من الموبقات ولا مجال لها من الأصل، مرة تحت راية طاعة الله ورسوله، ومرة الالتزام بالعهد وميثاق الجماعة، وتارة طاعة ولى الأمر أو بمعنى أصح ولاة الأمر بداية من قمة الهرم الإخوانى المتمثل فى المرشد العام للجماعة، ونزولاً حتى أصغر مسؤول إدارى أو تربوى فى الجماعة. ربما يكون هناك أخريات مثلى ممن صدمهن الوضع الداخلى مثلما صدم بعض الإخوة من الشباب، الذين يمثلون منبعًا للدماء الجديدة فى الصف الإخوانى الذى مازال حكرًا على الحرس القديم وورثته فقط، ولا توجد فرصة أمامهم غير أن يرضخوا للتسلسل التنظيمى الذى مازال بيد حفنة من المسؤولين الذين لا يواكبون المتطلبات الجديدة والمتسارعة فيما يتعلق بجانب الشباب.

ربما أكون الأخت الأولى التى تتحدث وتكشف عن وجهة نظرها فيما مر بها، ولا تكتفى بالانزواء فى البيت، تجترُّ ما كانت تأمله ثم ما وجدته من واقع تنظيمى جامد لا يعترف بالفرد، إلا بما يقوم به من تنفيذ أوامر وتوجيهات لا يعرف فى أحيان كثيرة الهدف منها.

أكتب هنا وفى قلبى حنين لأعود إلى الوراء، إلى الوقت الذى سبق انضمامى إلى صفوفهم كنظام، لأحتفظ بتلك الفكرة النظرية الواهمة التى كونتها فى ذهنى عن تلك الجماعة. إلى تلك الفترة التى عرفت فيها اسم الإمام حسن البنا كشخص له فكر وضعه فى مذكراته عن الدعوة. وقتها أعجبنى الرجل بفكره العام والذى حسبته تطبيقًا عمليًا لفكرة المجتمع الفاضل أو الفردوس المفقود الـذى كنت أبحث عنه وأفتش عليه بين نظريات اسپينوزا وماركس وديكارت حتى فرويد نفسه، أضداد فى التفكير ولكنى كنت مازلت - كغيرى - فى رحلة البحث عن النموذج الأصلح والقابل للتنفيذ الفعلى.

وللحق أنا لم أكن فريدة من نوعى فى صفوف الأخوات، فهناك مثلى كثيرات ممن لهن أدوارهن المرسومة ممن هم أعلى فى الدرجات. كانت لنا أدوارنا التى نؤديها بطاعة واجبة، ولنا مواقعنا المكانية التى لا ينبغى تجاوزها، توقيتاتنا الزمانيةَ المحددة بدقة، وكان لنا مسؤولون ومسؤولات لا ينبغى تجاوزهم بأى حال من الأحوال.

وكما يبدو للناظر من الخارج كنا نبدو مجتمعًا جميلاً منظمًا، فلنا لقاءات ورحلات وترفيه ومسؤوليات وهتافات وجلسات مسامرة. ولكن كل ذلك كان حسب خطة موضوعة من قِبل غيرك، ومن ورائها أهدافٌ أخرى لا يهم أبدًا أن تعرفها، وعلينا جميعًا تنفيذها دون نقاش. لا مانع أبدًا فى أن نناقش وَصْفات الطعام

وتكون جلساتنا كلها أكلاً وحديثًا عن إرضاء الإله الأصغر الذى يمهد لك طريق الجنة الموعودة.

وفى النهاية يتم رفع التقرير عن نشاطنا وتفاعلنا؛ ليتم تصعيد المحظوظات وفقًا للائحة نظام داخلى يكبت حريات الكثيرين نساء ورجالاً ويقيدها. بينما يطلق العنان لقلة فقط من الأخوات يتم تلميعهن وإبرازهن كى يتبوَّأن مركزًا ما؛ فقط لأنهن بنات قيادى راحل، أو بينهن زوجة معتقل، أو زوجة أخ فى التنظيم الإدارى. وربما يكُنَّ غير مثقفات ولا يستطعن التحدث باللغة العربية الفصحى التى شدد الإمام على استخدامها. فى حين أنه توجد أخريات لهن المقدرة على خدمة الجماعة لو كن فى نفس الموقع. ولكنه تنظيم أبله وطاعة عمياء لمن تعلوك درجة حتى لو كانت أقل منك فى المعرفة، فسَبْقُها فى الجانب الإدارى هو الذى جعلها أحق وأجدر بالمنصب الذى يخول لها الجلوس مع الأخ المسؤول عن الشُّعبة أو الفرع وتلقِّى الأوامر منه؛ وكذلك مقابلة الشخصيات الكبيرة ذات الأسماء الطنانة فى الجماعة وزوارهم من خارج الدولة وداخلها.

"نحن جماعة الإخوان مثل الهيئة التى توصل الكهرباء للناس، لا نحتاج إلى مهندسين كثيرين بقدر ما نحتاج إلى عمال كثيرين".

كانت تلك المقولة، وهى للراحل الحاج عباس السيسى أحد رجالات الإخوان المُبرَّزين، خير توصيف للتعبير عن الوضع الداخلى فى الجماعة الذى يدفع ببعض الأسماء الموصى عليها لتتقدم

الصف فتكون من "المهندسين" أو الزعامات، وهذا لا علاقة له بالجدارة أو الاستحقاق بقدر ما هو قرار داخلى يحظى به البعض ويُمنع عن غيرهم. وفى الوقت نفسه، يعمل على ضم الكثير من التابعين "العمال" الذين يُفترض أنهم سيكتفون بدور المشجع والمُناصِر لمن هم فى القمة من باب الطاعة. ومن غير المنطقى أبدًا أن يتقدم العامل على سيده، أو يطالب بتعديل وضعه إذا أثبت جدارته وإلا أصبح مخالفًا لميثاق الجماعة وشاقًا للصف. ربما كان هذا إخراجًا إخوانيًا متأسلمًا لقصة چورچ أورويل "مزرعة الحيوان"!!.

فى البداية والنهاية اتضح لى أن الحكاية كانت مناصب ومراكز يستأثر بها البعض دون غيرهم، مما تسبب وبالتدريج فى حالات من الاحتقان الداخلى والذى بدأ أخيرًا يفصح عن نفسه فى هيئة آراء مختلفة تخرج من داخل الإخوان أنفسهم تطالب بالتعديل. وظهرت المنافسات والمناوشات الكلامية والسجالات التى لم يعد بالمقدور التكتُّم عليها داخل الصف؛ فخرجت رغمًا عن جميع المحافظين والمتشددين الذين يتزعمون الحرس القديم.

بدأ صوت الشباب يعلو، وأقصد بالشباب من هم من غير رجالات الصف الأول والثانى الإخوانى من ورثة المجد القديم، لأنهم أرادوا أن يكون لهم دور يواكب حالة التحمس والفوران الذى يعانونه نتيجة الشحن الخطابى الذى يتعرضون له منذ انضمامهم للجماعة.

لم يجد هؤلاء الشباب أمامهم مجالاً مناسبًا يستوعب طاقاتهم بصورة كاملة، فهم كغيرهم لا يستطيعون التحرك إلا بعد أخذ الموافقة على كل شىء من الشق الإدارى، ولا يستطيعون التعبير عن آرائهم فيما يصل إليهم من أوامر للتنفيذ. تلك الحالة أوجدت حالة من الاحتقان الانفعالى ؛ هذا الاحتقان نفسه كان السبب الرئيس فى إنجاح أى دعوة للقيام بمظاهرة أو مسيرة يدعو إليها التنظيم، فبمجرد تلقِّى الأوامر يخرج هؤلاء سراعًا يفرغون حماسهم وقدراتهم المكبوتة فى مجموعة هتافات يظنون أنها هى الجهاد ضد الحكومة، التى صورها لهم رجال الإخوان على أنها هى العدو وأن فيها جهادهم.

"قال: يا دكتور إبراهيم فى البلاد التى يحكمها الاستبداد والدكتاتورية، السياسة هى ملعب الوحوش التى يحكمها قانون الغاب" كانت هذه جملة على لسان أ. د/ محمد سليم العَوَّا يوجهها للدكتور الزعفرانى قبل محاكمته فى ١٩٩٥.

وهكذا يتم الشحن العاطفى الناجح والذى تجلى مؤخرًا فى مظاهرات يناير ٢٠٠٨ التى خرجت فى ثلاثة عشر مكانًا بالإسكندرية وحدها تدعو لفتح الحدود مع غزة. وخرج الشباب وهتفوا ضد الحكومة وضد كل شىء ثم عادوا وقد استراحوا بعد أن أفرغوا طاقاتهم، ثم عادوا من جديد لنفس الحلقة المفرغة يسمعون ويطيعون.

وحينما تجرأ من تجرأ بالمطالبة بمحاسبة بعض الرموز على تصريحات وأقوال أضرت بالجماعة إعلاميًا، فوجئوا بالرفض

واللوم والتهديد بالإقصاء لأنهم تجرَّءوا على من لا يليق بهم أن يخضعوا للمحاسبة مثل غيرهم.

فى عام ٢٠٠٤، تُوفِّى قيادى بارز تعرض للسجن مرارًا، وكانت فرصة بالنسبة لى أن أقدم واجب العزاء وأتعرف إلى ابنته (م) التى كنت أسمعه يتحدث عنها بصفتها ابنة (ع ا) هذا القيادى الشهير. وفى ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٤، زرتها وانبهرت بالعدد الكبير من الأخوات اللواتى كن يَتِهْن بمعرفتهن لها. ثم أُتيحت لى الفرصة بعد ذلك لأحضر مجلسًا كان عليها أن تلقى كلمة به. كان اسمها كفيلاً ليكتظ المسجد عن آخره بالمريدات، ولكنها ما إن بدأت الحديث حتى تكشَّف لى أنها تتمتع بميزة التوريث هى الأخرى، ميزة أعطاها لها اسم والدها الراحل، فلا علم لديها ولا موهبة فى توصيل معلومة ما، وانقلبت الحلقة إلى جلسة مثل جلسات ربات البيوت. وتكرر نفس المشهد تقريبًا مع أسماء أخرى استفادت من نظام التوريث أيضًا.

وكل هذا لا ينفى أن يتملّكنى الإعجاب بأشياء وجدتها فى صفوف الإخوان مثل التنظيم والتخطيط المسبق والدؤوب لضم الشباب، خاصة فى فترات استخراج بطاقات الانتخاب والدعاية الانتخابية سواء للمحليات أو للبرلمان. ونجاحهم الساحق فى تطبيق فكرة الشيوعية الماركسية التى فشل لينين نفسه فى تطبيقها ؛ لا أثر للفرد تمامًا أمام نجاح فكرة المجتمع ؛ مجتمع الإخوان. فلا وجود للفرد إلا بمقدار ما يقدمه من خدمات وفق مكانته، وحسب ما تم تكليفه به ومدى إظهاره لطاعته للمسؤول عنه.

لقد أثبتوا بالدليل والبرهان "أن الدين هو أفيون الشعوب" والدين هنا هو منهجهم الذى غيَّبوا به ما قد يقف عقبة فى طريقهم، والذى بدأ بشعارات إسلامية ليحمل بين طياته أهدافًا أخرى. هذا المنهج الذى يخضع للتأويل والتفسير حسب الطلب!

غيَّبوا المرأة طويلاً وعندما فكوا الحصار الذى أحكموه حولها، سمحوا لها بفرجة لا تتعدى إلقاء دروس عن الطاعة لكل ما يمتُّ للرجل بصلة، سواء كان لتعاليم الإمام الذى أصبحت كتبه ورسائله مراجع تُؤلَّف حولها وعنها التفسيرات والتأويلات التى تُمنهج وفقها العقول، أو المرشد العام الذى يمثل الرمز الذى ننتظر كلمته كرسالة سماوية أو تجلٍّ إلهى سيسفر عن منهاج وشريعة تُخْرج العباد من غيابة جُبِّ الحكومات الوضعية. أو الزوج الذى يحق له الزواج مرات ممن يريد تحت غطاء مسميات عديدة مثل إعفاف مسلمة، زواج مروءة، رغبة فى إنجاب المزيد من الأطفال ليباهى بهم الرسول الأمم، وغيرها من الأسباب، وفى كل الأحوال على الأخت أن ترضخ للكيفية التى يفسرون لها بها الشرع دون نقاش. وهكذا تُختزل العلاقة الزوجية على مفهوم واحد سلبى الاتجاه وهو طاعة المرأة للزوج سواء كان صالحًا أو طالحًا. وفى المقابل، لا اهتمام بتوجيه الرجل إلى كيفية التعامل مع الزوجة كما حددها الشرع أيضًا، والقائمة على المعاملة بالمثل من حب وحنان، وليس بأسلوب تنطُّع قائم على استغلال مفهوم الطاعة التى أوجبها الإسلام على المرأة تجاه شريك الحياة. ولذلك لم نسمع يومًا عن دروس للرجال عن كيفية استمالة قلب الزوجة أو كيفية التعامل معها كإنسان يحب

أيضًا أن يرى الزوج متعطرًا مهندمًا متشوقًا؛ تمامًا كما يلقون فى دروسهم الموجهة إلى النساء.

عندما قررت الكتابة عن تجربتى فى ٤/ ٧ / ٢٠٠٧ كنت مازلت أحتفظ ببعض الصداقات؛ ولذلك كنت كتبت الجملة التالية:

(وللآن صداقاتى الوحيدة والمخلصة هى مجموعة أخوات لا يتعدين أصابع اليد الواحدة ، يعرفن تمامًا ما عانيته وبذلن لى الكثير"تعاطفًا لا أكثر"، ولكن كانت الأمور خارج نطاق إمكاناتهن، ولديهن نفس الخوف على الجماعة التى أحببن أفكارها ولكن ليست لديهن الجرأة أو ربما لم يتعرضن لمحنتى).

ولكن عندما عدت فى بداية عام ٢٠٠٩ لإكمال الموضوع كان علىَّ أن أغير هذه الجملة لأقول:

(ولكنهن من المدجنات جيدًا، فقد صدرت لهن الأوامر العليا بقطع صِلاتهن معى، سواء تنظيميًا أو تربويًا أو إعلاميًا، وحتى على المستوى الشخصى الإنسانى الذى كنت أتعامل به مع الجميع).

ذهب ما كنا نتدارسه فى أُسَرنا التربوية من معانٍ تدور حول الأخوَّة فى الله. وضاعت شعارات انصر أخاك، والإعانة وقت الشدائد وإقالة العثرات. تبين أن كل هذا كان عملية من عمليات غسيل المخ المُمَنْهج بغرض الاستفادة من الأفراد لخدمة أسماء معينة داخل الصف. تبين لى أن دورى قد انتهى وأنى قد أديت مهمتى التى أرادوها بنجاح، ووصل ٨٨ منهم إلى مجلس الشعب ولم يعودوا بحاجة إلى استمالة القلوب والأنصار الآن، ولا يوجد لديهم

وقت لمعالجة مشكلة رأوا أنها لا تهمهم أو لا تؤثر على وضعهم الذى أصبح قويًا الآن، وهذا ما ذكرته صراحةً قريبةُ "تاجر العسل المناضل" عندما تم نشر الفصل الأول من كتابى هذا وأحدث ضجة؛ ذهبت إلى شقيقتى الكبرى تعاتبها وتلوم وتستنكر ما كتبته عن الجماعة وأفكارها؛ قائلة: "هو احنا عندنا وقت لكل حاجة، فى حاجات أهم "، ثم غلفت كلامها بتهديد ضمنى كى أهتم بأولادى ومصلحتهم!!!!

تراودنى صور (س) أول مسؤولة عنى فى أول أسرة تربوية جلست إليها، وصورة (ع) ثم (س ن) ثم (ن) و(ض) وأخيرًا (ص) وهن يلقين خطبهن العصماء عن الأخوة والحب فى الله، وعن الحكومة الكافرة التى تحارب الإخوان حَملَة لواء الإسلام.

أتذكر الدروس التى ألقيتها بصحبتهن فى ٢ نوفمبر ٢٠٠٤، ويناير ٢٠٠٥ إلى أكتوبر من نفس العام، حيث كان المنهج يدور حول الحب فى الله وعن روحانيات رمضان والأخوة مع إسقاط كل هذا على أنه من أساسيات التعامل داخل الصف الإخوانى المتقدم للترشح فى انتخابات مجلس الشعب. كل هذا لم أجد له تطبيقًا عمليًا يناسب الوقت والجهد والدعاية التى بذلناها لبرمجة عقول المتلقيات المنبهرات بما يسمعنه، وكأننا حققناه داخل الصف الإخوانى المتهافت على الحكم والسياسة.

أتذكر تلك الليالى والنهارات التى كنت فيها أبذل جهدى لتنفيذ التكليفات التى جاءت متدرجة متنقلة من مسئول إلى مَنْ أسفل منه،

حتى وصلت إلى الأخت المسئولة بغرض جمع الأنصار من أجل الانتخابات المرتقبة. كنت وغيري قد صدقنا بالفعل أننا نعمل لخدمة الإسلام، فلم يكن من السهل أن نتخيل أننا نعمل من أجل أفراد يريدون الوصول إلى الحكم سريعًا.

*

(٢)

(الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا)

هذا الشعار الجميل الذى يرفعونه (الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا) شعار فَضْفاض رنان جميل.

ولكن من يرسم لك طريق الله؟

يرسمه لك شخص مثلك وبالطريقة التى توافق طموحاته وأهواءه الشخصية.

ومن الذى يوضح لكِ مَوَاطن القدوة فى الرسول والتى عليك أن تتبعيها؟؟

أيضًا شخص مثلك، ينتقى من السيرة النبوية ما يوافق أهواءه وينبذ ما دونها.

وإذا كان الموت هو الأمنية القصوى، فلِمَ تأخذين حظًا من الدنيا طالما لك جنات معروشات تنتظرك فى الآخرة ؟

الرجل فقط هو المسموح له التمتع بنساء الدنيا والحُور العِين فى الجنة. هو رجل من الممكن أن يجمع الحُسْنَيين، أما أنتِ فيجدر بك الصبر على المكاره والأذى، وإعلاء راية الطاعة فى كل مناحى حياتك، ولكل فرد، ولكل قرار يصلك، وما عليك إلا التنفيذ الفورى دون حتى الاعتراض أو إبداء التألم.

ومن ضمن الأمور العديدة التى استغل فيها رجال الإخوان فكرة التسليم والطاعة العمياء مسألة تعدد الزوجات، ليس بغرض الإنجاب فى حالة عقم الزوجة أو مرضها مثلاً وغيرها من الأسباب، بل تم استحداث مبررات جديدة براقة مثل إعفاف مسلمة وزواج المروءة، فأباحوا لأنفسهم الزواج من ثلاث نساء لا اثنتين. وعندما تشتكى الزوجات، يتم عقد جلسة لهن مع بعض الأخوات اللواتى يذكِّرنهن بلزوم الطاعة والصبر والتسليم لأمر الله فى الأعالى سبحانه، وهذا الآخَر الذى يحق له فعل أى شىء كرجل وأخ.

كنت أرى ذلك بصورة واقعية أمامى، (س) المهندسة وخريجة مدارس الفرنسيسكان والأم لثلاثة أطفال والتى لم تتجاوز الثلاثينيات من عمرها، يخبرها زوجها الأخ بموعد زفافه على أخرى صغيرة فى السن، أى لم يفتها قطار الزواج. ولا ينتظر ردًا منها، وبعد مرور أسبوع العسل يصطحب أولاده الثلاثة منها للترحيب بالعروس الجديدة.

وصديقتى (هـ) المُدرسة التى ضحت بعملها لتتفرغ لبيتها ولزوجها وأولادها، يتكرر نفس الأمر معها، وعندما لم تستطع الصبر كما أشار عليها الناصحون، طلبت الطلاق، ولكنها تراجعت بعدما تم تهديدها بالحرمان من أطفالها، فلا طاقة لديها لتلجأ إلى المحكمة لتطالب بالحضانة.

(م.م) النائب البرلمانى يتزوج بالثالثة، ومدير مكتبه يفعل المثل.

سألت (...) فى مكتب النائب البرلمانى بعد زواجه الثالث، إن كان موضوع التعدد الذى انتشر تحت دعاوى إعفاف مسلمة كما يرددون، فلماذا لا يتكفل النائب بزواج شاب من شابة فيكون أعفَّ مسلمين اثنين لا واحدًا؟

ألم يكفه زوجتان فيجعل تكاليف الثالثة لشاب لا يجد ما يتزوج به ؟

كان مثل هذا السلوك هو أشد ما يؤلمنى ؛ حينما يتم تغليف الرغبات الشخصية بغلاف الدعوة الإسلامية، وأن يتوهم هؤلاء أنهم بهذا الذكاء الذى يجعلهم ينهلون من المتع الدنيوية وينتظرون مباركة الجميع. لم يكن من المتوقع أن يتعرضوا للمساءلة أو حتى الاستفسار عن كيفية الإنفاق، فى الوقت الذى يعانى الجميع أزمة اقتصادية طاحنة فقط للحصول على زواج وحيد أو رغيف خبز.

مثل هذا السؤال كنت أصارح به بعض المقربات فأواجَه بردود أفعال متباينة ولكنها تصب فى أنه لا حيلة لنا فيما يجرى، وما علينا إلا أن نسلم بالأمر الواقع من أجل وحدة الصف!

لا أريد أن يُفهم من حديثى هذا أنى أهاجم موضوع تعدد الزوجات كشىء مباح فى الشريعة الإسلامية، لأنى أعلم جيدًا أن هناك من يريد لَىَّ عنق كلماتى حتى يتم تأويلها على أساس أنى خرجت عن ملة الإسلام، وأنى أهاجم أشياء مباحة فيه ليتم بذلك تغطية الموضوع الرئيس، وهو أنى أردت الإشارة إلى الكيفية التى يستغل بها رجال جماعة الإخوان الأمر للحصول على أقصى ما يريدون من متع دنيوية تحت شعارات أخروية.

ولذلك؛ لا أريد أن ينظر لى البعض ممن لديهم نوع من الفوبيا تجاه الحركات الإسلامية على أنى بطلة لأنى أهاجم جماعة الإخوان، فلست كذلك، والأمر ليس هجومًا ولكنه نوع من النقد، أو لنقل رؤية مغايرة لم تقم على خلاف عقائدى أتنكر فيه للثوابت الدينية والتى أعمل على أن تكون الشعرة الأخيرة التى تقينى الجنون أو الضياع. هناك ثوابت تتمثل فى فكرتى عن الخالق سبحانه، والتى أرفض أن يرسمها لى أحد من الفقهاء على أنها فقط هى التى ستُدخلنى الجحيم لأعانى سواد جهنم التى أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، وألفًا أخرى حتى ابيضت وألفًا ثالثة حتى اسودت، مع أن جسدى لا يلزمه غير عود ثقاب لينتهى إن أراد الله ذلك.

أرفض صورة الإله التى يجعلونه فيها كمن ينتقم ممن خلقهم، أرفض التفسيرات المقصورة على الترهيب.

لِمَ لا يتحدثون عن عفوه ورحمته مثلما يتحدثون عن عقابه؟

لِمَ لا يتحدثون عن فرحه بتوبة عبده وعلى أنه يبدل بالسيئات الحسنات؟

أرفض قساوسة الاعتراف الذين يقفون واسطة بينى وبين رب العالمين يحددون الطريق إليه، يكفينى ما قاله هو سبحانه :

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١١٠).

وهو القائل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٧).

وفى حديثه القدسى: «... من أقبل إلىَّ تلقيته من بعيد، ومن أعرض عنى ناديته من قريب، ومن ترك لأجلى أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاى أردت ما يريد، ومن تصرف بحولى ألنت له الحديد. أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكرى أهل زيارتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى، إنَ تابوا إلىَّ فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم.....أنا أرحم بعبادى من الوالدة بولدها».

إذًا هذا هو ربى!!

إذًا المشكلة ليست فى الدين ولكن المشكلة فيمن يعتقدون أنهم أوصياء، وأنهم أقدر الناس على الفهم والتفسير والتأويل والاجتهاد.

فى النهاية ربما أكون وصلت إلى حكمة أو منهج خاص بى ؛ لن أسلم عقلىَ لغيرى فى الوصول إلى الطريق، لن أنتمى لغيرى أبدًا، ولن أقوم بتجزئة نفسى ما بين حزب سياسى وتنظيم دينى.

هذا ما خرجت به بعد رحلتى الممتدة منذ الصغر حتى عام ٢٠٠٧، عرفت خلالها ألوانًا من البشر ينتمون إلى تيارات مذهبية متعددة مثل المذهب الشيعى الزيدى والإثنى عشرية الجعفرية، وحركة الجهاد الإسلامى، والمذهب الوهَّابى، والإخوان المسلمين، والتيار الشيوعى أيضًا. حاولت أن أجد عند أحد منهم إجابة وافية عن أشياء كثيرة، ولكن كان هناك دومًا سؤال يسلمنى لآخر حتى كان آخر المطاف لرحلة التساؤل مع الأخوات المسلمات.

وللأمانة سأكتفى بذكر الأشياء التى تُعتبر من العموميات، لا الأشياء الخاصة، سأكتفى بذكر ما ينتمى للموضوع الأساسى فقط، مع عدم ذكر أسماء معينة أو أشياء خاصة استودعها معى بعض ممن ينتمون لكل التيارات التى اختلطت بأفراد منها بصفة شخصية لا بصفة تنظيمية.



الفصل الثانى

البداية

"الترف مُؤْذِن بخراب العمران". (ابن خلدون).

رغم أن العنوان هو البداية، لا أدرى لماذا قفزت تلك الفكرة إلى ذهنى عندما كنت أسير فى واحدة من تلك المسيرات التى خرجت تجوب شوارع الإسكندرية ابتهاجًا بدخول ٨٨ من الإخوان مجلس الشعب ٢٠٠٥.

تمت طريقة التجمع كالعادة بالهاتف وكأنها دعوة إلى حفل زواج. تم تحديد مكان التجمع فى مكان عام به موقف لسيارات الأجرة بجوار حى المنتزه فى منطقة سيدى بشر. وفى الموعد المحدد تجمعنا وسرنا وفقًا للتعليمات نحو شارع المسرح. وهناك تقابلنا مع المزيد من النساء؛ فهى مسيرة خاصة بالنساء يحيط بها كردون من الرجال تحسبًا لأى طارئ.

المسيرات النسائية تقتصر على الشوارع الجانبية المكتظة بالسكان، فى حين أن المسيرات الرجالية تتخذ من الشوارع الرئيسة وكورنيش البحر مسرحًا يمارسون عليه لعبة إظهار القوة والسيطرة فى وجه الجميع.

كنا نسير جماعات متراصة من السيدات تتقدمنا سيارة تحمل اسم النائب الفائز عن دائرة المنتزه، وعليها شاب ينشد الأناشيد الحماسية ويشكر أبناء الدائرة على اختيارهم لهذا النائب ثم يردد شعار الجماعة. كنا نسير وراءه نهتف بشعارات الجماعة، نشعر بالتعالى على كل المكدسين فى شرفات منازلهم، وعلى أبواب محلاتهم يشاهدون هذا الحدث الفريد. الأناشيد الحماسية تتوالى من مكبر الصوت الذى تحمله السيارة التى تتقدم المسيرة. سيدات كلهن محجبات وأطفال فى مظاهرة تسير فى شوارع ضيقة يحميهن الرجال ويفسحون أمامهن الطريق، تتعالى الأصوات وترتفع الحناجر. بدا الموقف وكأنه عودة جيش المسلمين من غزوة ضد الكفار أعداء الدين وأن الفتح الإسلامى قد بدأ من جديد!

فى تلك اللحظة كنا نشعر بالقوة غير عابئات أو خائفات من أن تقبض علينا الشرطة كما هو مُخوَّل لها فى ظل قانون الطوارئ، وكما كنا نتحسب لهذا الطارئ دومًا بالتمويه عند الحديث فى التليفون، أو الحذر عند اختيار منزل إحدانا للقاء الأسبوعى، وحتى فى ارتداء الملابس والحرص على تعدد طبقاتها تحسبًا للتعرض للتحرش من شرطى أو شخص مستأجَر للاعتداء علينا كما أفهمونا.

وتستمر المسيرة وتخرج إلى الشارع الرئيس؛ شارع مَلَك حفنى حيث يوجد سرادق صغير ينتظرنا به النائب الذى يلقى خطبته العصماء وتنهمر وعوده الخدمية الدعائية كالعادة. وتتكرر المسيرات فى مناطق أخرى وتتعلق الآمال بمن يطلق الوعود بالجنة الأرضية والتى سيتبعها بالتأكيد الجنة العلوية، ولِمَ لا ؟ أليسوا هم الإخوان حَمَلة لواء الإسلام؟

ومن العجيب أنه فى غمرة هذا الاستعراض والنشوة بالنصر والتحقق قلت فى نفسى :

هذه بداية النهاية....

نعم، فمن قبل رسبت فى ذهنى فكرة أن أى حركة أو إيديولوچية جديدة تمر بمراحل ثلاث ثابتة...

أولاً : مرحلة الضعف وهى الولادة، تليها قوة وازدهار وهيمنة، ثم المرحلة الثالثة الانحسار والأفول والتلاشى.

كنت أسوق لنفسى مثالين، أولهما الدعوة الإسلامية ذاتها التى بدأت ضعيفة مضطهدة فى مكة ومنفية فى المدينة، ثم مرحلة الازدهار والانتشار فى كل أرجاء الأرض والتى عبرت عنه مقولة خليفة من خلفاء المسلمين يخاطب سحابة فى السماء واثقًا : شرِّقى أو غرِّبى فحيثما وقع مطرك جاءنى خراجه. ثم جاءت فترة الانحسار والتردِّى، وانهارت دولة الخلافة وانهار فردوس الأندلس، وعادت الدعوة الإسلامية كما بدأت غريبة.

وبعد ذلك تراءى أيضًا نموذج الاتحاد السوفيتى والفكر الشيوعى الاشتراكى والذى مر بنفس المراحل.

والآن (٢٠٠٥) الإخوان المسلمون هم فى مرحلة الازدهار والانتشار وعلى أعتاب المرحلة الثالثة.

ليس كما يروجون بسبب اضطهاد النظام، فمنذ متى تصمد الأنظمة أمام رغبات الشعوب الثائرة ؟

بل كان الاضطهاد نفسه فى أغلب الأحيان من عوامل نجاح أى حركة تحررية، ومن عوامل انتشارها بين المضطهدين.

إذًا هناك عوامل أخرى تقف فى وجه استمرار الجماعة غير تلك المتعلقة بالحكومات.

ألا يُحتمل أن تكون عوامل ضعف داخلية؟؟

عوامل تتعلق بالأسلوب الجامد المتبع فى اختيار القياديين والإداريين، والذى يهضم حق الكثيرين فى إثبات تواجدهم وجدارتهم، وحبسهم داخل آلية الترقى الجامدة ذات العين الواحدة والتى تنظر فقط إلى ورثة المجد القديم.

حتى فى عملية اختيار المرشد العام التى تخضع للائحة التنظيمية المتوارثة للجماعة، لا تُتاح الفرصة أمام الجميع وخاصة الشباب للمشاركة فى عملية الاختيار، بل يستأثر أعضاء مكتب الإرشاد العام بترشيح اسم المرشد، ومن ثَمَّ أخذ البيعة له من مجلس شورى الجماعة من الجيل الثانى والثالث للجماعة فى الداخل والخارج.

وتتعلق أيضًا بمكانة المرأة التى لم يطرأ عليها أى تقدم منذ تأسيس الجماعة ١٩٢٨، فلم يحدث ولو لمرة واحدة أن وصلت امرأة لعتبات مكتب الإرشاد المقدسة.

وتتعلق بحالة التكلُّس للأفكار والمبادئ نفسها والتى كانت ركيزة لقيام الجماعة، وإن حدث وخرج من بينهم من يشذ عن تلك الأفكار ويتصرف بإرادته الخاصة فيما يراه مناسبًا وفق اجتهاده، لا يجد من يناقشه، ويُفاجأ بالتنصل منه والزعم أنه ليس من صفوفهم، أو أنه منشق وأنهم يتبرءُون من أفعاله التى لا تعبر عنهم.

وهـذا يشهد به التاريخ بداية بما حدث مع الطالب الإخوانى عبد المجيد حسن عندما اغتال محمود فهمى النقراشى، فما كان من رجال الجماعة إلا أن أدانوا عملية القتل وتبرؤوا من القاتل وخرج الإمام ليقول: "ليسوا إخوانًا، وليسوا مسلمين".

وكذلك فى قضية مقتل القاضى أحمد الخازندار، تبرءُوا من القاتل وأعلنوا أنه اجتهاد شخصى منه وليس بتوجيه منهم.

وهكذا يفعلون إلى اليوم. فمن يخرج عن فكرهم أو خططهم فخير وسيلة لمواجهته هى إنكار انتمائه أولاً، ثم محاربته بعد ذلك فى الخفاء وهم يتصنَّعون اللامبالاة، وذلك بإثارة الأقوال حول شخصه أو علاقاته أو أى شىء يرون أنه يفيد فى تغطية الموضوع الرئيس المختلَف عليه.

وهكذا سيفعلون معى، سينكرون أنى كنت يومًا فى صفوفهم، وربما يقولون عنى شيوعية أو عميلة للغرب وللحكومة. ولكن

ولحسن الحظ لدىَّ ما يثبت أنى كنت فى صفوفهم، ولدى الكثير من نماذج الاستبيانات الفارغة التى تحدثت عنها فى كيفية استقطاب الفتيات، وكذلك الكثير من الاستبيانات المملوءة بأرقام هواتف وأسماء كاملة لفتيات وعناوين منازلهن، ولدى نماذج للخطط الصيفية وموضح بها الدروس والفئة المستهدفة والوسائل والأماكن التى سيتم توزيع الخطة عليها، وكل ذلك ليس بخطى بل بخط المسئول (ة).

لقد انهار حكم المسلمين فى الأندلس عندما ضاع الهدف الأساسى وهو نشر الدعوة تحت أطماع حكام الدويلات ورغبتهم فى بسط نفوذهم الشخصى.

وانهارت مبادئ الثورة الاشتراكية عندما استتب الأمر وتفرغ الكبار لحصد المكاسب.

وما يدور الآن من تكالب جماعة الإخوان نحو السلطة والتواجد السياسى هو البداية نحو النهاية، لأن ذلك يقابله ثغرات داخلية، وأصوات تطالب بنصيبها فى الكعكة القادمة.



نظرة من الداخل

فى الثمانينيات، كنت أنظر بإعجاب إلى الأخوات اللواتى كن معروفات بخمارهن المميز. كن فى ذلك الوقت يشكلن جماعات مترابطة. أراهن فى المدرسة ملتصقات معًا، ولو تصادف ووقفت مع

واحدة منهن لسبب ما كالتحضير لبرامج الإذاعة المدرسية مثلاً، تأتى أخرى لتسلم على من تقف معى ولا تلتفت لى كأنها لا ترانى. كن ينظرن لغيرهن ولى كواحدة من الخوارج لمجرد أنى لا أنتمى إليهن، ولكونى كنت نجمة الإذاعة الصباحية فى الشعر والقصة، وتلك أشياء كانت فى ذلك الوقت غير مألوفة.

لم أكن والكثيرات غيرى من المتحررات بمفهومنا اليوم، فالمجتمع الذى نشأت فيه كله كان يعتبر مجرد كشف البنت لشعرها شيئًا عظيمًا، ولذلك كنا جميعًا نغطى رؤوسنا، ولكننا لم نكن نلبس ما تلبسه الأخوات، فنحن لسنا بأخوات وهن كالمجتمع المغلق لا يختلطن بأحد من خارج صفوفهن. كنت أجهل كيف أكون مثلهن، واعتقدت أن لبس الخمار الذى يلبسنه هو الذى سيجعل منى أختًا. تمنيت أن أكون مثلهن أختًا؛ فقط كى أتجنب نظراتهن المستهجنة التى تحكم علىَّ بالإقصاء لمجرد مغايرة ملابسى لشكل ملابسهن، بالإضافة لانتمائهن للجماعة التى لم أكن أعلم عنها حتى ذلك الوقت غير اسمها.

وقتها بَدَوْنَ لى مثل الحركات الماسونية المنغلقة، أو كالديانة اليهودية التى لا تقبل مؤمنين جُدُدًا، وهذا كان مناقضًا للهدف الدَّعَوىّ الذى قامت من أجله جماعة الإخوان فى أول تأسيس لها، وما تعرفت عليه بعد ذلك من خلال قراءتى لمذكرات الإمام حسن البنا "الدعوة والداعية"، بل أيضًا مناقض للهدف الأسمى للدين الإسلامى بمفهومه العالمى الشمولى الذى تخطى حاجز اللون

والحدود الجغرافية منذ قرون مضت، ليضم الجميع ممن لبس الدشداشة والعباءة والمروط والفراء والقبط والبُرّدة.

ظننت أنى لو قرأت كتب الإمام حسن البنا سيعتبروننى منهن. فقرأت مأثوراته وبعض رسائله المتاحة، وفصولاً من مذكراته، فتملكنى الإعجاب بكل ما قرأت. ولكنى وقتها شعرت بالدهشة والاستغراب فالذى أجده فى كتاباته يدعو إلى الانفتاح على الحياة والمجتمع والآخرين، وما أجده من سلوك الأخوات من حولى مناقض لكل هذا. فلماذا هن منغلقات هكذا ؟

لقد كان الإمام يتعامل مع الجميع، ويشترك فى النشاطات ويبذل المساعدة للغير كأسلوب من أساليب الدعوة ، ويفرض رأيه منذ أن كان صغيرًا، وله صداقات كثيرة، ويحترم الملك عند مروره، وله علاقات بـ "النصارى"، فلماذا هن كذلك؟

أتذكر أنى وقتها قلت: (حسن البنا هذا، كان رجل سپور، فلماذا هن كذلك مثل الثور؟!).

ومن هنا وقبل أن أنضم إليهم بوقت طويل، بدأت فى قياس كل سلوكيات الأخوات والإخوان على أقوال وأفعال الإمام نفسه، وهذا ما استمر بعد انضمامى الفعلى فيما بعد.

تلك كانت بداية رحلة البحث والقياس والمقارنة بين ما كان، وما هو كائن حتى وصلت إلى مرحلة انتقلت فيها لأقوال الإمام نفسه، خاصة موقفه من المرأة الذى تأرجح بين التجاهل والتهميش، أو بوضعه بعض القيود على تعليمها، فى نفس الوقت الذى كان يجِلُّ

ويحترم الحاجة" زينب الغزالى" الناشطة فى العمل الاجتماعى وقتها ومؤسِّسة جمعية السيدات المسلمات، ورئيسة تحرير مجلة متحققة بالفعل، ويعمل جاهدًا أن يجعلها تنضم بجمعيتها لتعمل تحت لواء جماعة الإخوان التى أسسها.

قمت بمقارنة أقوال الإمام عن المرأة وعن مكانتها ووضعها فى المجتمع، بما هو موجود فى الدين الإسلامى وممارساته الفعلية منذ عهد الرسول الكريم ومن بعده الصحابة والتابعين.

أدركت بعد ذلك أنه لا يكفى أن أستمر فى محاولاتى المستمرة والجادة لتثقيف نفسى بالثقافة الإخوانية والتى حسبتها جواز المرور لصفوفهن. عرفت أن الانتساب للجماعة وقتها كان أشبه بنظام التوريث؛ أى أن الأب ينقله لأولاده، والزوج لزوجته بصورة آلية، وأنا لم يكن لوالدى هذا الشرف حيث كان يعمل ضابطًا ولذلك هو مستبعد تمامًا، وأن يكون لى زوج من الإخوان كان أمرًا مستبعدًا تمامًا فى ذلك الوقت أيضًا، حيث كان الأخ يتزوج من صفوف الأخوات فقط.

طبعًا كل هذا تغير بالتدريج حتى بلغ أَوْجَه فى مرحلة التحضير الكبرى والاستنفار العام السابق لدخولهم انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٠، و ٢٠٠٥، وما كان يستلزمه من تغيير خطط التحرك والانتشار وإنشاء شُعَب فرعية خاصة بالنشر والدعاية والإعلام؛ لضمان الحصول على أصوات الناخبين. وفى هذا الجانب كان للدور النسائى الفضل الأول فى نجاح كل الأهداف الموضوعة بهدف الاندماج فى المجتمع والانفتاح عليه.

صدرت الأوامر بالتصرف فى شكل الخمار المعتاد الذى يعطى للمرأة شكل الخيمة المتحركة، وأصبح يخضع للتعديل ما بين مثلث الشكل والدائرى. وتعددت ألوانه لتشمل ألوان قَوْس قُزَح بعد أن كان اللون المقدس هو الأسود، يليه الرصاصى ثم البُنى بدرجاته.

نزعت زوجات بعض الرموز الإخوانية النقاب الذى كن يحرصن عليه من قبل وظهرن سافرات الوجه. وبعد أن كان للثوب تفصيلات متعارف عليها، أصبح من المعتاد أن يتخيرن ملابس من دُور الأزياء المعروفة دون التقيد بالشكل المتعارف عليه سابقًا.

وانفتحت الأخوات على أمثالى - سابقًا - بل زاد انفتاحهن على المتبرجات الكاسيات العاريات على أمل هدايتهن؛ عملاً بحديث شريف موجود منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا:

(لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حُمْر النَّعَم).

كان هذا الحديث بالفعل موجودًا من قبل عندما كنِ يتجنبن الحديث مع من ليس فى صفوف الجماعة. ولكنه لم يكن يناسب المرحلة السابقة المنغلقة للجماعة، التى لم تكن فى حاجة لأصوات المناصرين والمحبين. وعندما حان دور الانفتاح والتحضير لخوض لعبة السياسة، كان لا بد من التفتيش عن سند شرعى يتلونون بسمته فى المرحلة الجديدة. فتبدلت الأفكار المنغلقة مثلها مثل الملابس لتناسب الدعاية الإعلامية المرتقبة؛ أو لنقل تلونت بلون معاصر يخدع العين بينما يظل الجوهر كما هو منغلقًا متكيِّسًا.

وزاد الانفتاح أكثر فأصبح الإخوة يتزوجون من الجميلات المُمِيلات كأسنمة البُخْت بهدف إصلاح أحوالهن، ومن المعروف أن ابنة فنان كوميديا مشهور هى زوجة الآن لابن أخ له مكانة مادية وأدبية فى صفوف الإخوان.

هذا النوع من الانفتاح بالزواج من خارج صفوف الجماعة خلق حالة من التذمر فى صفوف الأخوات؛ لأن فرصهن المضمونة فى الحصول على زوج وفقًا للقائمة التى تشمل بنات الإخوان ممن هن فى سن الزواج قد تضاءلت، وليس لهن فرصة كالرجال فى الحصول على زوج عادى من خارج الصف الإخوانى.

وبالتدريج أصبحت حتى اللقاءات العامة التى جاءت فى مرحلة التحضير لخوض الانتخابات تشمل الجانب النسائى. وتم تلميع بعض الأسماء فى القاهرة والإسكندرية، وبدأ ظهورهن فى السرادقات التى كانت تُنصب فى الشوارع ويحضرها مرشحو الإخوان مع جوقة منشدين من الشباب والأشبال والزهرات الذين يؤمِّنون على خطاب المرشح برفع شعار الجماعة ثم الله أكبر ولله الحمد، فى تناغم كبير يغيِّب العقول لتهيم فى تلك الراحة نفسها التى تنبعث فى حلقات الذكر والدروشة، متناسية الهَمَّ اليومى وتكاليف المعيشة.

وجلست الأخوات جنبًا إلى جنب مع مرشحى الإخوان على منصات الخطابة وأمام الجمهور الغفير من الرجال والنساء من كل المشارب والألوان.

أصبح من المألوف جدًا أن تجد أخوات فى النوادى مختلطات بغيرهن، يرفعن أصواتهن مروجات لمرشحى الإخوان، ويقدن سياراتهن بكل حرية، وهذا تغيير كبير، وإذا ما قسناه على أقوال الإمام نفسه، سنجد أن الأمر يعد مخالفة صريحة لما جاء فى "رسالة المرأة المسلمة" التى وضعها الإمام البنا ليحدد مكانة المرأة، ذاكرًا ما يجب وما لا يجب عليها أن تفعله.

كنت أتابع بدهشة ما يحدث من تطورات سريعة على شكل المرأة العام وعلى قدرة الجماعات الإسلامية على التلون وتسخير الشرع بحثًا عن سند مختلف يناسب كل مرحلة. كان ذلك واضحًا جليًا ليس عند الإخوان فقط، بل أيضًا بالنسبة للتيار السلفى المعروف بتشدده والذى كان فى حقبة الثمانينيات ينظر إلى السيارة كبدعة من البدع لمخالفتها عصر النبوة، ولم يكن من اللائق أن تخرج نساؤهم دون محرم، ثم أصبحت نساؤهم اليوم المنتقبات بالأسود وبالعباءة النجدية يقدن السيارات الحديثة فى الشوارع بكل بساطة، ويخرجن بكل حرية.

أصبح جليًا بالنسبة لى أن الإخوان لا يوجد لديهم رؤية واضحة لمكانة المرأة وليس لها معالم واضحة فى التنظيم.

وجدت أن ما قرأته عن مكانة المرأة فى الإسلام شىء، وما يقوله الإمام فى رسالته للمرأة المسلمة شىء آخر، والإخوان اليوم يمارسون شيئًا مختلفًا عما قاله الإمام ومن بعده بعض المُبرَّزين من الأسماء، مثل البهى الخولى الذى قال وكأنه يردد ما قاله البنا نفسه:

«إنه بدخول المرأة كليات الزراعة والصيدلة لم يجعلها تجنى إلا أنها خرجت من نطاق الرقة ومشاعر الأنوثة التى خصتها بها الطبيعة إلى الاسترجال الخشن» (البهى الخولى - المرأة بين البيت والمجتمع - من رسائل الإخوان المسلمين).

شعرت بنوع من الخلل فيما أرى، فعلى الرغم من وجود رسالة للمؤسس تحدد دور المرأة وسارت عليها الجماعة طويلاً، رغم ذلك ومن أجل دخول مجلس الشعب أباح الإخوان للمرأة العمل السياسى وليس فقط مجال الصيدلة والزراعة.

إذًا، فحديث الإمام ليس مُلْزمًا طوال الوقت طالما تعلق بالمرأة فقط، وما عدا ذلك فأحاديثه ورسائله مثل الأسفار المقدسة. كل ذلك فى نظرى كان يشير إلى أن هناك مخالفة من نوع ما.

إما إنهم كجماعة يخالفون تعاليم الإسلام، أو أن الإمام خالف تعاليم الإسلام حينما وضع رسالته الخاصة بالمرأة، أو أن الإخوان يخالفون الإمام مؤسس الجماعة نفسه، مخالفة صريحة لكل ما جاء فى رسالة المرأة والمنشورة ورقيًا وإلكترونيًا على موقع باسم الإمام وموقع الإخوان. مخالفة سافرة للصورة التى رسمها حسن البنا لدور المرأة منذ نشأة الجماعة. أباح الإخوان لأنفسهم مخالفة الإمام وأشركوا المرأة فى السياسة وغيرها من المجالات التى لم تكن ضمن مسؤولياتها التى لم تخرج عن البيت والأولاد والزوج. فى نفس الوقت الذى حافظوا على النظرة الدونية للمرأة داخل الصف الإخوانى، ولم يمنحوها فرصًا متساوية أو حتى مقاربة لفرص الأخ.

كان ما قرأته شيئًا وما أعاينه شيئًا مختلفًا، ولا مجال للاستفسار فأنا ضمن سلم له درجات ولا ينبغى القفز على تلك الدرجات. ومن تعلونى درجة ليس لديها سوى الطاعة العمياء لكل ما يُملى عليها فى اجتماعها مع الأخ المسؤول عن توصيل الأوامر والمهام للأخوات.

بدأت فى القراءة الجادة عن المرأة فى الإسلام، فى عهد الرسول الأكرم ﷺ والخلفاء من بعده، وقارنت ذلك بما وجدته عند الإخوان، فوجدت أشياء كثيرة أذكر هنا ما هو متعلق بما كتبه الإمام المؤسس نفسه ورسالته عن المرأة المسلمة بصفته المؤسِّس والمُنظِّر الأول للجماعة.



الفصل الثالث

المرأة فى الإسلام....... المرأة فى الإخوان (كما جاء فى رسالة الإمام حسن البنا بعنوان: المرأة المسلمة)

فى تلك الرسالة تحدث الإمام حسن البنا عن مكانة المرأة فى الإسلام قائلاً:

«أولاً: الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة للرجل فى الحقوق والواجبات وهذه قضية مفروغ منها تقريبًا، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختًا للرجل وشريكة له فى حياته هى منه وهو منها "بعضكم من بعض". وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة وبحقوقها السياسية كاملة أيضًا وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب يشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه، والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه». (رسالة المرأة المسلمة).

ورغم ما ذكره الإمام البنا هنا مُقرًا ومعترفًا بأن للمرأة مكانة كاملة وأهلية غير منقوصة فى الإسلام، عاد بعد ذلك ليدلى برأى

شديد التناقض. رأى يحدد به دور المرأة بحيث لا يتعدى جوانب بيتها وشراشف الأُسرِة. ويتمادى ليحدد ما على المرأة أن تتعلمه وما لا يجب ومقدار ما سوف يتم السماح لها بتعلُّمه.

أباح الإمام للمرأة تعلُّم أعمال المنزل فقط، ومنع عنها باقى العلوم، أباح لها شذرات من العلوم التى فى رأيه لن تفيدها، فمكانها الطبيعى البيت حسب رأيه الشخصى، فأى فائدة ستعود عليها من معرفتها بالقوانين والعلوم الطبيعية وغيرها من العلوم؟!!

يقول الإمام مكملاً رسالته عن المرأة المسلمة من منظوره الإخوانى :

«ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين وتاريخ السلف رجالاً ونساء، وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادئ التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها.....أما المجالات فى غير ذلك من العلوم التى لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته، فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد، ليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة، وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيرًا، وليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى دراسة الحقوق والقوانين، وحَسْبُها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس».

حسن البنا كمؤسس لجماعة الإخوان المسلمين يذكر هنا مكانة المرأة فى نظر التنظيم الإخوانى والذى يخالف الشرع والتشريع الإسلامى تمامًا والذى أقره هو بنفسه من قبل.

ففى الإسلام، الأصل فى الأشياء الإباحة، وطالما لا يوجد نص صريح من الكتاب والسنة فلا يملك أحد أن يحرم شيئًا، ولكن الإمام البنا هنا حدد ما يجب وما لا يجب تعلمه بالنسبة للمرأة، وهذا لم يفعله الرسول نفسه. بل زاد به الشطط الفكرى إلى الحد الذى قسم فيه الناس إلى خاصة وعامة؛ خاصة تضمه ورجاله الذين أباح لهم ما لم يُبِحْه للنساء ، وعامة الناس الذين لا يشملهم بتلك النظرة من التقدير، والذين يكفيهم معرفة القليل من أمور الدين ذاتها.

وعندما لم يجد الإمام البنا فى القرآن الكريم ولا من السنَّة النبوية ما يعزز رأيه هذا عن دور المرأة، لجأ إلى أبى العلاء المعرى مستشهدًا بأبيات له:

علموهن الغزل والنسج والرد ... ن وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ... ص تجزئ عن يونس وبراءة

ثم يُجْمل نظرته لدور المرأة قائلاً:

«علموا المرأة ما هى فى حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التى خلقها الله لها: تدبير المنزل ورعاية الطفل».

وهنا لا بد أن نتساءل: من المخطئ؟

إخوان اليوم الذين التزموا بتعاليم المؤسس فى حقبة زمنية معينة، ثم خالفوها ليستخدموا المرأة فى كل شىء تحت دعوى خدمة الحركة؟

لو كان هذا، يكونون إما مخالفين لتعاليم الإمام مؤسس الحركة الذى يتبعون كلماته ورسائله بدقة شديدة، أو أن الحركة نفسها ليس لها ثوابت تميزها عن غيرها من الحركات ، وأنها تنتهج مبدأ الغاية تبرر الوسيلة .

ربما يزعمون أنها المرونة التى يدّعون أن الجماعة تتميز بها، فلماذا إذًا لم نَرَ تلك المرونة فى التعاطى مع الجوانب الأخرى التنظيمية والفكرية للجماعة ؟

لماذا لم تظهر المرونة لتعطى المرأة مكانة مساوية - أو حتى مقاربة - لمكانة الرجل داخل الصف الإخوانى إذا أثبتت جدارتها فى الجوانب الإدارية والتنظيمية ؟

أعلم أن البعض من بنات كبار الإخوان لم يلتزمن بتلك الأقوال، ونَلْنَ حظهن من التعليم مثل بنات المرشد الراحل حسن الهضيبى وغيرهن كثيرات، ولكن لماذا لم يتواصل هذا التطور لتحصل المرأة على مكانتها الإدارية الكاملة داخل التنظيم نفسه على أساس أنه النواة الأولى للمجتمع المسلم؟

لماذا لم تتجلَّ المرونة فى إشراك الأخوات فى مكتب الإرشاد مثلاً والذى مازال مقصورًا على الرجال فقط؟

لماذا كان دومًا مجال المرأة هو المجال الوحيد الذى يبيحون لأصغر عضو فيهم أن يُظْهر قدرته فى السيطرة على دورهن بما يخدم دور الرجل الأخ فقط صعودًا إلى قمة الهرم التنظيمى؟

ولو لم يكن إخوان اليوم هم الجانب المخطئ لمخالفة رسالة الإمام، يكون الإمام حسن البنا نفسه هو المخطئ حينما كتب رسالته الخاصة بالمرأة وتجرأ فيها على تحديد ما لم يحدده أو يحرِّمه النص القرآنى ولا السنة النبوية المطهرة.

هل أراد الإمام قصر دور المرأة على أن تكون وعاءً لشهوة الرجل ومفرخة لتفريخ الأطفال؟

لقد أراد البنا أن يُلْزِم النساء برأى بدا له أن يتبعه وهو لم يبلغ السادسة عشرة من عمره عام ١٩٢٤ بعدم مواصلة تعليمه، قبل أن يتخلى عنه ليبدأ دراسته فى دار العلوم. يذكر هذا الإمام البنا بنفسه تحت عنوان «رأى فى العلم والشهادات»:

«فكنت فى صراع عنيف : هذه الرغبة المُلحَّة تدعونى إلى الاستزادة من طلب العلم، وإرشادات الإمام الغزالى، وتعريفه العلم الواجب بأنه العلم المحتاج إليه فى أداء الفرائض وكسب العيش، ثم الانصراف بعد ذلك إلى العمل، تدعونى إلى الأخذ بالضرورى وترك ما سواه وعدم ضياع الوقت فيه» (مذكرات الدعوة والداعية).

وتمر السنون ويعود الإمام إلى رأى الغزالى نفسه، والذى وجد لنفسه منه مخرجًا وهو صبى ليطبقه على النساء.

أراد أن يلزم النساء بالضرورى من العلم فقط، والذى قام بتحديده بنفسه أيضًا، بما يمكّنها من أداء دورها البيولوچى فى الحمل والإرضاع وترتيب المنزل .

لقد ناقض الإمام كلامه هو نفسه عندما تحدث عن المنهج الذى كان يتم تدريسه فى مدرسة أمهات المؤمنين التى أنشأتها الجماعة فى الإسماعيلية، موطن ظهورها الأول:

« .. كان لاستقرار العمل فى معهد حراء الإسلامى أثر طيب فى إنشاء مدرسة للبنات، أُطلق عليها اسم "مدرسة أمهات المؤمنين"، واستؤجرت لها دار فخمة مناسبة، ووضع لها منهاج عصرى إسلامى يجمع بين أدب الإسلام وتوجيهه السامى للفتيات والأمهات والزوجات، وبين مقتضيات العصر ومطالبه من العلوم النظرية والعملية.

أدت المدرسة رسالتها حتى تسلمتها بعد ذلك وزارة المعارف؛ وهو ما يعكس اهتمام الإخوان ورعايتهم للمرأة منذ قيام الجماعة، واعتبار المرأة نصف المجتمع ومربية للنصف الآخر، ولها حقوق الرجل نفسه فى الحياة من تعليم وثقافة وحرية وعيشة كريمة، مع التزامها بدينها وواجباتها تجاه أسرتها ومجتمعها». (مذكرات الدعوة والداعية).

إذًا كان الإمام فى بداية تكوين الجماعة يعترف بأن للمرأة نفس حقوق الرجل فى التعلم والحياة، وكان يعلم أن هناك مقتضيات للعصر يجب أن توافقها المناهج وتتماشى معها، وهذا فى حد ذاته من أساليب التربية الناجحة والتعليم الحديث.

فلماذا بعد ذلك يلجأ إلى تحديد ميادين العلم ومقداره بالنسبة للمرأة فى رسالة المرأة المسلمة؟

لماذا ضيَّق واسعًا فيما تعلق بالنساء ؟

هذا غريب من الإمام البنا الذى كان متبحرًا فى دروب الفقه والتصوف منذ صغره، ومن المؤكد أنه لم يكن يجهل سيرة النساء فى صدر الإسلام اللواتى شاركن بنصيبهن فى الجهاد متحملات عواقب اختيارهن من خير وشر.

من المؤكد أنه كان يعرف أُمَّ المؤمنين عائشة ؛ الحُميراء حبيبة النبى، التى كان يضع لها كتفه تستند عليها تراقب الأحباش وهم يلعبون، التى كان يسابقها فيسبقها تارة، ويجعلها تسبقه تارة أخرى ليفرحها.

عائشة التى لم يكن يخجل الرسول الكريم من ذكر اسمها مجردًا كعائشة المستقلة، كإنسان لا يأخذ شرعية تواجده من كونه أُمًّا لفلان أو زوجًا لفلان حتى لو كان الرسول نفسه.

لم يحجبها الرسول عن المجتمع، بل كانت موئل كل الرجال والنساء ينهلون منها العلم الذى على أساسه بنوا المجتمع ونظموا قوانينه. والتى قال عنها الرسول: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحُمَيْراء).

لم يضع الرسول الكريم لعائشة المحاذير والاشتراطات للظهور، ولم يحدد ما يجب أن تتحدث فيه وما يجب أن تتعلمه كما فعل

الإمام البنا، بل ترك الرسول كل شىء، ولم يقيد القرآن الكريم ولا الأحاديث الشريفة المرأة بقدر من العلم، ولم يقصرا شيئًا على الرجال دونهن.

فعائشة لم يكن هناك مجال من العلم إلا وكان لها السبق فى التبحُّر به.

قال هشام بن عروة عن أبيه: «لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أُنزلت، ولا بفريضة، ولا بسُنة، ولا بشعر، ولا أرْوَى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا ولا بكذا، ولا بقضاء ولا طب، منها....» (حلية الأولياء: ٢/ ٤٩).

عائشة جمعت بين العلوم الشرعية والعلوم الحياتية شعرًا وأنسابًا وتاريخًا وقضاءً وطبًا بلا محاذير أو استنكار من رجالات قومها ولا من رواة التاريخ.

عائشة لم تجد فى المشاركة السياسية عيبًا ولا مخالفة شرعية حينما خرجت على ناقتها فيما عُرف بوقعة الجمل سنة ست وثلاثين للهجرة، مع طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وقد ساءها مقتل عثمان بن عفان، تشارك فى الإصلاح بين أنصار على والمناوئين له من أنصار معاوية بن أبى سفيان فى الفتنة التى تلت مقتل عثمان بن عفان، وكان عبد الله بن سبأ اليهودى سببًا فيها.

خرجت عائشة وهى ملتزمة بهودجها محتشمة، ولم تجد فى ذلك مخالفة شرعية تلزمها البيت إلى أن يسترها القبر.

وسواء جاء حكمنا عليها بعد ذلك بأنها أساءت التقدير أم لا، فهو فى البداية والنهاية نوع من الاجتهاد ولها أجران إن أصابت وأجر إن أخطأت.

ومن المؤكد أن أسماء بنت أبى بكر المُلقَّبة بذات النطاقين، خرجت من بيتها ومارست دورها السياسى أيضًا على عين الرسول وعلى مسمع من والدها.

كانت أسماء بمصطلحاتنا العصرية الجاسوسة الأولى فى التاريخ الإسلامى، حيث كان عليها عبء نقل أخبار ما يدور فى مكة إلى الرسول، وتزويده وصحبه أبى بكر بالماء والطعام طيلة مكوثه فى "غار ثور" فى أثناء رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة، وكانت حاملاً فى أشهرها الأخيرة.

وزد على كل ذلك ما تعرضت له من أذى من أبى جهل كبير القوم الذى جاء يبحث عن المهاجرين، فلطمها على وجهها بقسوة، سقط على إثرها قُرْطُها على الأرض. فلم تزد على قولها: لا أدرى، وهو يجدُّ فى استجوابها عن الرسول وأبيها أبى بكر. بل مضى الزمن وخرجت أسماء وشاركت فى القتال يوم اليرموك.

وفى أيام سعيد بن العاص كثر اللصوص فى المدينة فاتخذت خنجرًا كانت تجعله تحت رأسها. وقيل لها: ما تصنعين بهذا؟

قالت: إن دخل علىَّ لص بعجت بطنه. (أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٨/ ٢٥٣)، والحاكم فى المستدرك (٤/ ٦٤)).

لم ينكر عليها أحد ما فعلته وما تفعله، لم يقل لها أحد يكفيك طهو الطعام وتهيئة الفراش.

لم يقل لها أحد إن الخنجر للرجال فدعيه عنك لأن هذا تشبُّه بهم وستدخلين الدَّرْك الأسفل من النار.

ومن المؤكد أيضًا أن خبر أُمّ المؤمنين أُمّ سَلَمة قد وصله، وما كان منها بعد صلح الحديبية، حين أمر الرسول أصحابه أن يتحللوا من إحرامهم، فلم يستجيبوا على الفور، فأشارت أم سلمة على النبى بأن يبدأ بالنحر والحلق فيحل إحرامه ليقتدى به المسلمون ويفعلوا مثله، وما إن فعل الرسول ذلك حتى تسابق الجميع يقتدون به.

ألم تكن أم سلمة خير وزير ومستشار للرسول حين عجز الرجال؟ أم نعده تدخلاً فى شئون الحكم والسياسة؟

جنبت أم المؤمنين أم سلمة الصف الإسلامى مشكلة كبيرة قد تؤدى إلى صدع لم يكن ليندمل أبدًا، حين يذكر التاريخ صلح الحديبية وشروطه التى رأى المسلمون وقتها أنها إجحافٌ لهم، ولكن تمر الأيام ويتضح أنه كان خيرًا لهم.

كلما قرأت أكثر فى رسائل الإمام وخاصة المتعلقة بالمرأة، اتضح لى أنه عندما أسس الجماعة عام ١٩٢٨ لم يدر بخَلَده أبدًا أن يكون هناك ما يسمى بالأخوات المسلمات ككيان له دور مساوٍ فى نشر الدعوة، جنبًا إلى جنب مع الرجال، بعيدًا عن صفة التجنيس وتاء تأنيثهن المزمنة. فهن كن فى نظره زوجات وأمهات للمنزل فقط.

حتى عندما تم التفكير فيهن فى أبريل ١٩٣٣، تكونت فرقة الأخوات المسلمات لتشمل زوجات وأخوات وبنات الإخوان فقط، ولم يتعدَّ دورهن الاستماع إلى دروس الإمام والإخوة من الرجال، ثم إلقاء الدروس فيما بينهن بعد ذلك ومدارستها، أى كانت حلقة من حلقات الدرس يستمعن لما يلقى عليهن فيها دون أن يكون لهن أى دور مثل الإخوة الرجال.

ويوضح ذلك محمود عبد الحليم:

«ولما كانت فرص الاجتماعيات أمام الأخوات غير متاحة بالقدر الذى أُتيحت به للإخوان، فإن الأستاذ رحمه الله ـ حسن البنا ـ كان حريصًا على أن يجعل هذه الاجتماعيات خالصة للتثقيف والتربية دون أن يقتطع من وقتها قليلاً أو كثيرًا فى الانشغال بالشئون الإدارية، كما كان حريصًا على ألا يضيع جزء من جهود الأخوات فى الالتفات إلى المناصب الإدارية والإعداد لها والتطلع إليها مما قد لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات النسائية».

وهذا له ما يؤيده من كلام البنا نفسه الذى يؤكد مرارًا وتكرارًا على دور المرأة، ناسبًا إياه إلى الإسلام وليس تنظيم الإخوان بقوله:

«إن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هى المنزل والطفل، فهى كفتاة يجب أن تُهيأ لمستقبلها الأسرى، وهى كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهى كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء، وأن تتفرغ لهذا البيت، فهى ربته ومدبرته وملكته. ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه؟!» (حسن البنا..المرأة المسلمة).

نعم، الإسلام يرى أن دور المرأة الرئيس فى البيت وتربية النشء، ولكنه - أى الإسلام - لم يقل هذا دورها فقط ويجب ألا تتجاوزه ، ولم يأتِ نص قرآنى ولا من السنة النبوية ولا من أقوال الصحابة والتابعين يحرم عليها تعلُّم أى علم من العلوم، بل كان الأمر متروكًا لحاجة المرأة وفق ظروفها التى هى أقدر الناس على الحكم عليها.

الإسلام رسم ووضع الأساس الثابت العام، وترك اللَّبنات الصغيرة يشكلها الفرد بنفسه وفق حاجاته وظروفه، فكيف يأتى الإمام ويتدخل فيما تركه الشرع مباحًا فى الأصل؟

ولماذا حرص منذ البداية على إبعاد المرأة عن أى منصب إدارى أو حتى مجرد التفكير أو التطلع للأمر كما ذكر محمود عبد الحليم؟

وما طبيعة المجتمعات النسائية التى كان الإمام يتعلل بها لإقصاء المرأة عن تولِّى المناصب الإدارية؟

وإن كان ذلك تخوفًا على المرأة فلِمَ أصر على انضمام الحاجة زينب الغزالى بجمعيتها التى أنشأتها تحت اسم "جمعية السيدات المسلمات" لتعمل تحت اسم جماعة الإخوان؟ ولماذا عرض عليها أن تتولى منصب رئيسة قسم الأخوات المسلمات بجماعته والذى لم يكن وقتها ظهر إلى حيز الوجود؟

ولماذا رفض أن تظل جماعة "السيدات المسلمات" كجمعية مستقلة فى نفس الوقت الذى تدين فيه بالولاء له؟

تقول الحاجة زينب الغزالى :" كان الإمام المرشد فى سبيله لتكوين قسم للأخوات المسلمات، وبعد مقدمة عن ضرورة وحدة صفوف المسلمين واتفاق كلمتهم دعانى إلى رئاسة قسم الأخوات المسلمات. وكان هذا يعنى دمج الوليد الجديد الذى أعتز به "جماعة السيدات المسلمات" واعتباره جزءًا من حركة الإخوان المسلمين، ولم أعِدْ بأكثر من مناقشة الأمر مع الجمعية العمومية للسيدات المسلمات، التى رفضت الاقتراح وإن حبذت وجود تعاون وثيق بين الهيئتين. وتكررت اللقاءات مع تمسك كل منا برأيه وتأسست الأخوات المسلمات، ولم يغير ذلك من علاقتنا الإسلامية شيئًا. وحاولت فى آخر لقاء لنا فى دار السيدات المسلمات أن أخفف من غضبه بعهد آخذه على نفسى أن تكون السيدات المسلمات لبنة من لبنات الإخوان المسلمين، على أن تظل باسمها واستقلالها بما يعود على الدعوة بفائدة أكبر. على أن هذا أيضًا لم يُرْضِه عن الاندماج بديلاً ودارت الأحداث بسرعة ووقعت حوادث سنة ١٩٤٨، وصدر قرار حل الإخوان ومصادرة أملاكهم وإغلاق شُعَبه" (أيام من حياتى ـ زينب الغزالى).

حتى الآن يبقى موضوع مكانة المرأة نقطة ضعف تثار حولها النقاشات داخل الجماعة التى انقسمت إلى فريقين فيما يخص هذا الموضوع. ففريق يقر بأن للمرأة دورًا مثل الرجل، وفريق ـ وهو الجانب الأقوى ـ لا يعترف بأن لها دورًا خارج جدران البيت، وهذا ما أشارت إليه السيدة چيهان الحلفاوى قائلة:

"الجماعة بها تياران ينظران للمرأة نظرة مختلفة، أحدهما متفهم لدور المرأة السياسى والدعوى، ومنطلقاته، وكيفية معاملة الرسول للنساء؛ حيث كان بجانب النخبة من الذكور التى كان يستشيرها الرسول نخبة نسوية يستشيرها أيضًا، وهذه هى الرؤية الغالبة فى التنظيم". "لكن هناك رؤية ذكورية داخل التنظيم تنظر للمرأة على أنها مجرد ربة منزل هدفها تربية الأولاد تربية إسلامية وينتهى الأمر. ومثل هؤلاء وصل تسلطهم داخل الجماعة إلى حد منع زوجاتهم من الذهاب إلى الصلاة فى المسجد". (العربية نت، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧م).

ورغم الأسلوب الانفتاحى الذى ينتهجه الدكتور عصام العريان إذا ما قارنَّاه بشخصيات أخرى تمثل الشق الأكبر فى الجماعة، إلا أنه لا يعترف بأن هناك مشكلة بالنسبة لوضع المرأة داخل الصف الإخوانى: " إن وضع المرأة فى الجماعة جيد، ويتفوق على وضع المرأة العام فى المجتمع المصرى ككل، وهى محل تقدير واحترام داخل التنظيم، ونحن نستمع إلى كل الآراء والنقاشات التى تدور فى مثل هذا الشأن".

ويرى أن هناك "مبالغة من بعض الأخوات المدونات فى بعض الأمور، خاصة وأن معظمهن صغيرات السن، ويحتجن إلى بعض الخبرات، وأعتقد أن عددهن قليل بالنسبة لبقية الأخوات، ولا يمثلن تيارًا جارفًا داخل التنظيم، وإنما هى مجرد آراء شخصية

نقدرها ونحترمها، وهذا يؤكد ديمقراطية الجماعة، وأنها تستمع **إلى** جميع الآراء ولا تحجر على أحد". (العربية نت، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٧م).

*

لسن المجتمع فى المنظور الإخوانى ما بين الاختلاط والحجب

لم يكتفِ الإمام البنا بذكر تصوره عن المرأة ودورها فى المجتمع. فبعد أن حدد فى رسالته ما يسمح به النسق الإخوانى للمرأة ، تطرق إلى المجتمع عامة قائلاً:

«لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا زوجى، وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن».

ويجعلها قاعدة عامة متعلِّلاً بقوله:

«كل ذلك إنما يُراد به أن يسلَم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهى أقرب الفتن إلى قلبها».

من المعلوم أنه عندما قامت ثورة ١٩١٩، كان الإمام مازال تلميذاً بالإعدادية، وخرجت المرأة تشارك فى الحياة السياسية بنصيبها وهى ترتدى زيها المحتشم الأسود الفَضْفَاض، تسير مثل الرجال

تطالب بالحرية وتقف فى وجه المحتل، ولم يذكر لنا أحد أنهن أثرن شهوة الرجال، أو أنهن فَتَنَّ ذكور القبيلة.

تجاهل الإمام ذكر خروج المرأة فى مذكراته، ولكنه لم يكن ليتجاهله أبدًا لو وقع ما يشين منهن ليدلل على لزوم حبسهن فى البيوت حتى يأتيهن ملك الموت.

لربما يقول قائل، لقد خرجت النساء منتقبات محتشمات ثم رجعن سافرات الوجه بعد أن خلعن نقابهن، ولكن حتى ولو سلمنا بهذا فكم حالة تحرش تعرضن لها يومها نتيجة كشف وجوههن ؟

ثم دخلت المرأة الجامعة عام ١٩٢٨، وجاء تأسيس جماعة الإخوان فى نفس العام على سبيل المصادفة.

كانت هناك رغبة لدى الجميع فى المشاركة فى الحياة وفى إثبات الذات والحصول على الحقوق التى تم حرمانهم منها: المرأة تريد إثبات أهليتها المنقوصة، والإخوان لديهم رؤى إصلاحية وطموحات نحو أهداف بعيدة تؤدى فى النهاية إلى استعادة دولة الخلافة.

فى تلك الظروف كان حَرِيًا بالإمام أن يترفع عن تكبيل المرأة بقيود إضافية، فى مرحلة كانت تجاهد فيها للحصول فقط على شذرات من بعض حقوقها ككائن حى.

أتعجب من الدواعى التى جعلت الإمام يستكثر على المرأة أن تنال بعض الحقوق التى مارستها فى عهد النبوة الأول!

وإن كان موضوع التاريخ الفرعونى يثير بعض الحساسية لدى البعض ممن يرونه عصر الوثنية والأصنام، فقد كان لهؤلاء الوثنيين رؤية أوضح للمرأة ودورها، وأباحوا لها الدخول فى العديد من ميادين العمل المختلفة، ووصلت إلى عرش البلاد، وتولت المُلك فى عهود قديمة، ومنهن (حتب) أُمُّ الملك خوفو، و(خنت) ابنة الفرعون منقرع، و(إياح حتب) ملكة طيبة، و(حتشبسوت) ابنة الفرعون آمون، و(تى) زوجة أخناتون، و(كليوپاترا). وتمكنت المرأة المصرية أيضًا من العمل بالقضاء مثل نبت حماة الملك بيبى الأول من الأسرة السادسة، وعملت بالطب مثل "بشت" والتى حملت لقب كبيرة الطبيبات خلال عهد الأسرة الرابعة، ووصلت الكاتبات منهن لمناصب (مديرة ـ رئيسة قسم المخازن ـ مراقب المخازن الملكية ـ سيدة الأعمال ـ كاهنة).

صحيح تدهور الحال بعد ذلك مع تغير الإيديولوچيات وأنظمة الحكم، حتى وصل السوء لمناقشة السلطة الكنسية فى حقبة زمنية معينة موضوعَ الروح وهل تتمتع المرأة بروح مثلها مثل الرجل!

العرب أنفسهم فى الجاهلية رغم الرجعية التى كانوا يرفلون فيها، قد أعطوا للمرأة حرية التجارة وأن تكون سيدة أعمال. ألم تكن أم المؤمنين خديجة تاجرة ؟ وعن طريق تلك التجارة تعرفت على أخلاق نبينا محمد ﷺ قبل أن تتزوجه وقد فاقته عمرًا وسبق لها الزواج قبله مرتين، مرة انتهى الزواج بترمُّلها ومرة بالانفصال؟

فلماذا أراد الإمام النكوص بالمرأة إلى عصور الظلام والوأد؟

ألم يقل الإمام نفسه: «وعلموا أن دين الله أوسع وأيسر من أن يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة، وإنما مَردُّ كل شىء إلى الله ورسوله وإمامهم إن كان لهم جماعة أو إمام». (مذكرات الدعوة والداعية).

كان حريًا بالإمام أن يواصل إعطاء المرأة حقوقها التى أباحها الشرع ولا يضيف على قيودها الفعلية قيودًا متوهمة منه. هكذا كان تاريخ المرأة موضع صولات الرجال وميدان تنافسهم فى فرض القيود عليها، لم يختلف فى ذلك من كان له مرجعية دينية مثل الإخوان عن غيرهم ممن لهم مرجعيات مخالفة.

ومن الملاحظ أيضًا الرغبة الشديدة لدى الإمام البنا للفصل بين الجنسين فصلاً تامًا. ربما يرجع هذا لأنه صدم عندما رأى صورة المجتمع الجديد المغايرة لكل ما اعتاد عليه كشاب ريفى جاء من بيئة قروية محافظة إلى القاهرة المنفتحة والمليئة بالمتناقضات؛ ولذلك جاء رد فعله قويًا بالاعتقاد أن الفصل بين الجنسين هو أسلم حل لمواجهة الفتن.

وبهذا لا يمكن وفق أى منطق، الحكم على الجميع بأنهم مجرد أعضاء مؤنثة ومذكرة تهيم فى الشوارع تبحث عن لحظات التلقيح أو المعاشرة الجنسية كالقطط فى الشوارع، وأنه من الأسلم ممارسة سياسة الحجب الكلى والفصل التام بين تلك الأعضاء.

كان الأجدر به مثلاً أن يتدرج فى التوجيه فيبدأ مثلاً بالمناداة بالاحتشام فى الملابس، وغض البصر؛ ذلك القول المذكور فى القرآن الكريم لحكمة يعلمها الله، أنه سيكون هناك اختلاط بالفعل تفرضه

الظروف المعيشية، ولا حل سوى غض البصر للجميع، لا الحجب والفصل كما أراد الإمام البنا، الذى ربما لو امتد به الأمل أكثر لطالب بسماء للنساء وأخرى للرجال منعًا للتشبُّه والاختلاط!

ولربما أرسل خطاب شكر للدولة التى لا تطبق تعاليمه بعدم الاختلاط إلا فى مصلحة السجون فخصصت سجونًا للنساء وأخرى بعيدة للرجال!

ولكن ماذا عن الاختلاط الذى كان على عهد الرسول نفسه؟

لقد كان موجودًا بضوابطه ولم يمنعه الرسول أبدًا ولم يجعل شوارع للنساء وأخرى للرجال.

ثم كيف هاجرت أم المؤمنين، أم سَلَمة؛ هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية القرشية، ابنة زاد الركب، بنت الحسب والنسب فى قريش، من مكة إلى المدينة التى تبعد عنها حوالى ٤٢٠ كيلومترًا؟

ألم يصحبها عثمان بن طلحة، وهو رجل غير ذى محرم وكان مازال مشركًا أيضًا؟

ألم تكن بمفردها لا يصحبها سوى طفلها الذى لا يفقه شيئًا، ومرت عليها وعلى عثمان بن طلحة ليالٍ، بدا فيها القمر حينًا واختفت فيها النجوم أحيانًا كثيرة؟

إذًا من الممكن أن تكون هناك صلات بين الرجل والمرأة غير الشهوة والإغراء، مثل الشهامة والرجولة والنخوة.

تقول أم سلمة نفسها عن عثمان بن طلحة:

«فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم ولا أشرف. كان إذا بلغ منزلاً من المنازل أناخ بى ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فأعده ورحّله، ثم استأخر عنى وقال: اركبى». (ص ٧١، نساء حول الرسول ٢٠٠١، الطبعة التاسعة، الإستانبولى والشلبى).

وصفية بنت عبد المطلب عمة الرسول الأكرم، خرجت مع الخارجين فى غزوة أحد، لم ينهرها أحد وهى تدافع عن الرسول يوم أن خالف الرجال خطة الحرب الموضوعة، أمسكت بالرمح تضرب به الفارين من المعركة وتقول لهم: انهزمتم عن رسول الله؟! (نساء حول الرسول، ١٩٤). كانت أشجع من الرجال الذين شغلتهم الغنائم بعد أن ظنوا أنهم حازوا النصر.

ويوم الخندق حين تحرش يهودى بمعسكر النساء، أخذت عمودًا غليظًا ونزلت من حصنها وتحينت الفرصة ثم ضربت اليهودى حتى قتلته، مع العلم أنه كان معها حسان بن ثابت، الذى لم يجد فى نفسه الشجاعة أو المقدرة لفعل ما فعلته صفية، فتركها تُجهز على الرجل اليهودى. ويوم خيبر كانت صفية فى أرض المعركة تداوى وتشد من أزر الرجال.

والسؤال الآن: هل لو كان المجتمع وقتها منفصلاً انفصالاً تامًا كما أراده الإمام، هل كان ذلك ليحدث وبهذه السلاسة دون أن يُعيِّر أحدٌ الرسولَ بأن عمته تختلط بالرجال؟

ربما يرد قائل إنها ضرورة الحرب، إذًا لو كانت تلك هى الضرورة التى تبيح المحظورات، هل من المنطقى أن تتحرك صفية فى أرض المعركة والحصن وغيرهما من الأماكن دون أن يخامرها الخجل ودون أن ينازع أى رجل نزعة ما بعدها ؟

ولكن صفية لم تكن حالة فردية لا ينبغى القياس عليها، بل هناك غيرها الكثيرات مثل أسماء بنت يزيد بن السكن التى قاتلت فى اليرموك ويقول عنها التاريخ : «شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها وعاشت بعد ذلك دهرًا» (الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى: ٤/ ٢٢٩) وكثيرات غيرهن ممن تحدث عنهن التاريخ.

إذًا هذه أمثلة بسيطة جدًا عن الحرية التى تمتعت بها النساء على عهد الرسول لأنه كان أعرف الناس بشرائع الإسلام.

لقد اهتم الرسول ببناء الفرد بنظام تربوى مرن لم يقم على المنع والتحجيم، أو افعل ولا تفعل. قدم الرسول أعظم أساليب التعليم القائم على الإقناع بالأدلة والبراهين وترك الحرية للسائل ليخرج بما يراه صحيحًا، وليس أبلغ من الحديث المتعلق بالشاب الذى جاء يستأذن الرسول فى الزِّنى من دليل دامغ على فكر الرسول الراقى السابق لعصره!

إذًا الرسول وضع أهدافًا عامة وصورًا عامة جعل لها التعزيزات والإثابات، وبيَّن الجزاء للمخالفين، وترك الباقى لتقدير الفرد فى زمنه الذى يعيش فيه.

كم أجدنى الآن فى أمسِّ الحاجة لأطالب بحكم الإسلام، لا حكم الرجال من المسلمين من الإخوان والمنظِّرين!



الفصل الرابع

الإمام مُجدِّد ومُصْلح ؟!

ليقل قائل، لقد أراد الإمام الإصلاح لما وجده من فساد فى المجتمع وقتها، والذى يتحدث عنه قائلاً:

«وقد وجدت فى نفسى - على أثر ما شاهدت فى القاهرة من مظاهر التحلل والبعد عن الأخلاق الإسلامية فى كثير من الأماكن التى لا عهد لنا بها فى الريف المصرى الآمن، وعلى أثر ما كان يُنشر فى بعض الجرائد من أمور تتنافى مع التعاليم الإسلامية ومن جهل بين العامة بأحكام الدين....» (مذكرات الدعوة والداعية)، يكون الرد المنطقى بالبحث عن كلمة إصلاح ومعناها ومدلولها:

«فالإصلاح هو عملية امتداد متبادلة ومتوالية بين أفق الجماعة وآفاق الأفراد، والمصلح هو من يستطيع أن يعرف الخير والأخلاق وما يجب أن تكون ليحولها الأفراد إلى معايير وقيم كائنة. وبذا نستنتج أن الإصلاح الاجتماعى هو نتيجة طبيعية لتواصل أفراد

المجتمع وهو أيضًا عملية مستمرة تتجسد دائمًا فى امتداد الأفق الجماعى الكلى للمجتمع» (ص٧٨ "نظرة ديناميكية فى علم النفس والقيم"، دكتور فيصل قدرى ١٩٨٩).

وبنظرة متأملة نجد أن الإمام خالف معنى الإصلاح لأنه أنكر عملية التبادل والتوالى بين الأفراد، فقد فصل المجتمع نفسه إلى دائرتين منفصلتين، واحدة مؤنثة وأخرى مذكرة، وكل دائرة منغلقة على نفسها أو هكذا فى رأيه يجب أن تكون، والفرصة الوحيدة لإمكانية التواصل بين الدائرتين هى فرصة الزواج.

إذًا، لا يوجد كيان مجتمعى من الممكن أن نطبق عليه عملية الإصلاح من الأساس، إلا إذا اخترعنا نموذجًا يوافق هوى المنظِّر وأتباعه فى تلك المرحلة.

تلك الحساسية المفرطة من الإمام تجاه النساء لا أجد لها مبررًا من واقعه الشخصى الذى نعرفه. فالنموذج الأول للمرأة الذى نعرفه فى حياة الإمام وهى أمه كانت تتمتع بمكانة وحضور، فأمه كانت سيدة فُضلَى لها قول فى مسيرة الأسرة، وهى التى صممت على ألا تتركه بمفرده فى القاهرة بعد حادثة الاعتداء عليه من زميل حقد على تفوقه عليه فى دار العلوم، وكانت هى السبب فى انتقال كل الأسرة من المحمودية إلى القاهرة.

ومن المثير للاهتمام فعلاً أن الإمام فى كتابه "مذكرات الدعوة والداعية" يسرد حياته ومسيرته مع الجميع والأصدقاء وغيرهم على مدار سِنِى عمره الست عشرة التى سبقت سفره إلى القاهرة،

دون أن يذكر مرة واحدة موقفًا أو انطباعًا أو احتكاكًا جمعه عن قرب بالعنصر النسائى على الإطلاق. لقد تجاهل الإمام وجود المرأة تمامًا.

لم يذكر مثلاً أن هناك امرأة تسكن القرية أو تعبر الطريق أو أنهم قدموا المساعدة لعجوز مثلاً، ومن المعلوم أن مجتمعه كان ريفيًا، والمرأة فى الريف تعمل مثلها مثل الرجل وأكثر منه فى الحقول وجلب المياه. ولذلك؛ ليس من الطبيعى أبدًا أن تكون ذكريات ممتدة من مرحلة الطفولة إلى المراهقة وأعتاب الشباب دون احتكاك من أى نوع مع نصف المجتمع المؤنث!

فلو تغاضينا عن مرحلة الطفولة المجهولة، فهل نتغاضى عن مرحلة المراهقة والبلوغ ولا يتملكنا الفضول لنعرف كيف مرت على الإمام أو أحد من أصدقائه دون شعور ولو عابر بنزعة ما تجاه اكتشاف الوجه الآخر لخلق الله؟

أليس الإمام قدوة، ومجددًا، ومُصْلحًا إلى آخر الألقاب التى يروق لأتباعه ترديدها ؟

إذًا كان حريًا به أن يرشدنا لما حدث معه وأصحابه كى نتعامل مع أولادنا الذكور، فيما يتعلق بصلاتهم بالجانب المؤنث من المجتمع فى مرحلة الفوران الجسدى المصاحب للبلوغ الطبيعى، وخاصة أن ما بيدنا من مذكرات هى إعادة لما كتبه الإمام البنا فى الأصل.

ألم يكن من المستدرك حين قرر كتابة المذكرات مرة أخرى أن ينوِّه على تلك الأمور فيكون هَديه شاملاً لمقاومة نزعات الميل الفطرى تجاه النساء؟.

تجنب الإمام البنا ذكر أى شىء من هذا القَبيل فى مذكراته، رغم أن الرسول نفسه حكى كيف نازعته نفسه وهو صبى ليترك رعى الأغنام ليذهب ويشاهد مجلسًا من مجالس اللهو، وذكر كيف أن الله أنزل عليه النعاس وفاتته مشاهدة حفل العرس وفرصة السمر كأقرانه من الشباب. «..... قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار سمعت عزفًا، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت....» رواه الطبرى: ٢/ ٢٩٧ وغيره.

الرسول عرَّفنا أنها طبيعة إنسانية أن تجنح النفس، ولذلك كانت تعاليمه كلها متدرجة تربى النفس وتهذبها، وتلك كانت عظمة بشرية الرسول القدوة.



وقفة مع تربية المراهق الإخوانى

تربية الشباب داخل الصف الإخوانى بداية من مرحلة المراهقة، لا تتيح لهم التعامل مع نزعاتهم الطبيعية صراحة. بل تتمحور حول كلمة التعفف وتجنب الاختلاط بالفتيات حتى تُتاح فرص الزواج. فيتعود الشاب على مقاومة نزعاته الطبيعية بالصوم وهو يردد الأحاديث النبوية عن السبعة الذين يظلُّهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم الشاب الذى تعرض للإغراء من امرأة ذات مال وجمال فقال إنى أخاف الله. ويبقى يجاهد نفسه فى الفترة التى تسبق الزواج. ولكن مهما بذل الشاب من جهد فى غض بصره فلن ينجح أبدًا فى مقاومة النظر ولو بصورة عابرة لما يبدو حوله من نماذج للفتيات الجميلات. وهذا يخلق لديه صورة متوهمة فى ذهنه أن الفتاة الأخت التى سيتزوجها والتى تلبس الملابس الفضفاضة والحجاب الذى يمتد إلى ما بعد منطقة الصدر، تمتلك نفس مقاييس الأجساد الشهية التى يعاينها فى حياته اليومية، وأنها تجيد

فنون الإغراء التى بذل عمره مقاومًا إياها فى الشارع والجامعة ووسائل المواصلات. ثم إذا ما تزوج، راح يبحث عما توهمه ليُفاجأ أنه يتعامل مع شىء لم يحدثه أحد عنه؛ عن عالم جديد وخبرات تتعلق بإثبات ذكورته التى لم يخبره أحد عنها. فقد جاءت كل خبراته الجنسية من كتاب "تحفة العروس" الذى أوصوه وعن استحياء بقراءته. ثم أخبروه أن يصلى مع عروسه ركعتين فى أول ليلة وأن يردد دعاء الجماع عند معاشرته لها. ولم يخبره أحد عما يحدث بين الزوج كرجل والزوجة كأنثى. والأخت الزوجة كما تعودت فالحياء زينة المرأة تنتظر منه المبادرة فى كل شىء، وإلا وقعت فى دائرة الظنون والشك.

فى حالة أعرفها لشاب من الإخوان من هذا النوع، أراد طلاق زوجته والتى اختارها بنفسه بعد وقت قصير من زواجهما. وبعد نقاشات سرية معه عن سبب الطلاق، تبين أنه رسم لنفسه صورة لمقاييس صدرها وجسدها كما رأى فى الشارع وفى إعلانات الفاتنات، ثم تَفَاجأ بأن ما رسمه شىء وما رآه شىء آخر، ولولا تدخلات من هنا وهناك واقتراحات وإيحاءات عن كيفية تجاوز الأمر لتم الطلاق.

وهذا نفسه ما يحدث مع الفتيات، فهن يستمعن إلى دروس عن طاعة الزوج وعن لعن الملائكة للمرأة التى تمتنع عن زوجها فى الفراش. ولذلك تأتى العلاقة الزوجية من مفهوم الصبر على شىء غير مرغوب فيه مخافة لعن الملائكة، ومن ثَمَّ الحرمان من الجنة.

العلاقة الزوجية يتم تقديمها إلى الفتاة على أنها شىء تستقبله لأنه رغبة الزوج والتى لابد أن تلبيها حتى لا يقع فى الحرام. ولذلك تأخذ الفتاة موقف المتلقى السلبى فطالما هى رغبته هو فليفعل ما يشاء وهى ستطيعه كما تعلمت، وستتزين له وتنتظره لأنها مهمتها؛ أى تحولت العلاقة الحميمة المتبادلة إلى حالة سلبية من طرف واحد تؤديه المرأة، لا محبة فى كونها حالة التكامل بينها وبين شريك حياتها، بل مخافة الحرمان من الثواب الأخروى.

وكما تلقت فى الدروس الإخوانية فإن هدف الزواج هو تأسيس أسرة بإنجاب الأطفال، وهكذا تستعد للإنجاب من قبل الزواج. ولذلك عندما يحدث الزواج الثانى تتحدث الزوجات شاكيات عن انعدام السبب من وجهة نظرهن، فهن أتقنَّ دورهن وأنجبن البنين والبنات ؛ تمامًا كما تدربن وتربين فى تربيتهن الإخوانية على أن هذا هو قوام الأسرة المسلمة، فلماذا بعد أن أدَّين أدوارهن بكفاءة يُفاجأن بزواج أزواجهن مرة ثانية وثالثة؟.

ربما تكون النظرة للمرأة من الأساس منقوصة حتى وإن أثبتت احقيتها بالتكريم والتقدير، وهذا ما يدلل عليه موقف ذكره الإمام البنا فى مذكراته عن فترة دراسته فى دمنهور الممتدة من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٣.

ذكر الإمام البنا الحاجة "خضرة شعيرة" صاحبة البيت التى اخفته مع أصدقائه وأنكرت وجودهم عندها لتحميهم، فما كان منه إلا أن خرج ليفضحها أمام الضابط ويضعها فى موقف حرج يعترف به هو نفسه:

«فخرجت إلى الضابط السائل وصارحته بالأمر وكان موقف الحاجة خضرة حرجًا للغاية».

ذكر الإمام الموقفَ المتعلق بالحاجة خضرة جاء من باب التعالى على كذب النساء، لا من أجل حفظ الجميل للسيدة التى عرضت نفسها للخطر.

جاء الإمام بالمثال ليعلم أصحابه الصدق - على حد زعمه - ولو ضحى بامرأة ضعيفة لم تُرِدْ غير حمايتهم.

إذًا المبدأ فى كل النزعات الجديدة واحد: لا ضير من سقوط بعض الضحايا فى سبيل إنجاح الحركة.

ولكن هذا مبدأ الحركات السياسية والثورات البدعية، وليس من مبادئ الإسلام الذى أباح هذا النوع من الكذب من باب درء المفاسد والحفاظ على الأرواح.

وهناك أمثلة فى هذا الصدد نعرفها جميعًا، ومنها أنه عندما علم الرسول الكريم أن كفار قريش يعرضون على سُميَّة بنت خباط أن تنطق بكلمات الكفر وتسب الرسول فى مقابل تخليصها من العذاب، أرسل إليها أن تفعل طالما وقر واستقر الإيمان فى قلبها. ولكن سمية بحريتها الشخصية أبت وفضلت الشهادة فى سبيل الفكرة التى اعتنقتها قلبًا وقالبًا، فهانت أمامها كل صنوف العذاب.

وعندما اضطر عمار بن ياسر تحت وطأة التعذيب أن ينطق بكلمات الكفر كاذبًا، ندم كثيرًا وشعر بالخجل، ولكن الرسول هون

عليه لأنه كان فى حكم المضطر فقد ماتت أمه سمية أمام عينيه من شدة التعذيب.

والحاجة خضرة فى موقفها مع الإمام وأصحابه كانت مضطرة لإنكار وجود الصبية فى بيتها لتحميهم. الحاجة خضرة بفطرتها البسيطة عملت بالإسلام الصحيح لأنه دين الفطرة وليس دين المنظِّرين فقط من الإخوان وغيرهم.

فى القاهرة يجىء أخيرًا أول احتكاك فعلى بامرأة فى مذكراته، احتاج إليها الإمام كى تكشف على عينيه وتساعده ليعمل نظارة طبية تمكِّنه من اجتياز امتحانات القبول بدار العلوم. يذكر هو ذلك فى مذكراته قائلاً:

«تحدثت إليهم عن رغبتى وعن حاجتى إلى من يرشدنى إلى طبيب لأصنع نظارة طبية، فتطوع معى أحدهم وقام من فوره إلى عيادة دكتورة يونانية فيما أظن ولكنها متمصرة، وصفها بالحذق والمهارة، وأنها صنعت له نظارة مناسبة مع اعتدال القيمة، وعندما وصلنا إليها بدأت عملها .....».

إذًا السبب فى نجاحه فى الاختبارات التى رسب فيها غيره هى تلك النظارة من صنع تلك الطبيبة السيدة الحاذقة الماهرة. لقد رضى الإمام لنفسه وهو تلميذ المدرسة الحصافية أن يسلم وجهه لأنامل امرأة طبيبة. أليس من الأفضل إذًا للنساء المسلمات أن يواصلن تعليمهن كى ينافسنها ولا يكُنَّ فى يوم من الأيام تحت قبضة انامل رجل طبيب؟

لماذا إذًا كل هذه الحساسية من موضوع المرأة؟

هل ما رآه من انحلال فى المجتمع يعد مبررًا لإصدار آراء وتعليمات على النقيض تمامًا بالغةً حد التطرف والشطط ؟

أين التدرج فى التحريم والمنع الذى سار عليه الشرع ذاته فى تحريم الخمر مثلاً؟

هل المرأة فى نظره عورة لا يسترها إلا زوج أو قبر؟ متأثرًا بحديث ذكره الغزالى :

" للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة، فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات." (أبو حامد الغزالى - الزواج الإسلامى السعيد ـ ص ١٠٩)، أم إن المرأة فى المنظور الإخوانى تهمة وجريرة ينبغى التبرُّؤ منها ؟

عائشة أم المؤمنين، كان الرسول يتحدث عن حبه لها علانية، ولم يتعامل معها كأنها عورة ولا بد من إخفائها مثلاً.

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن عمرو بن العاص سأل النبى:

ـ أىُّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟

قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها.

إذًا هذا هو الرسول المحب والحبيب.

ولكن الأمر يختلف فى الناموس الإخوانى، بل وبعد سنوات عديدة يجىء سيف الإسلام حسن البنا لينفى تهمة (النساء) عن

والده قائلاً: «برى الله والدى من حب الجاه والمال والنساء وقصة زواجه معروفة للجميع، لكن مع هذا فإن عواطفه كانت قوية وبلغت ذروتها من حيث الحنو على الأبناء، حيث كان يتمتع بحس مرهف فى التعامل معهم وهكذا كانت عواطفه فى التعامل مع الإخوان».

مع أن الرسول نفسه لم يخجل وهو يقول: «حُبِّب إلىَّ من دنياكم الطِّيب والنساء».



الفصل الخامس

كاريزما التواجد الإخوانى

فى مدينتى الصغيرة الساحلية، كان هناك رموز للإخوان ينظر لهم الجميع باحترام وإجلال. كان ذلك لاختلافهم عما اعتاد عليه أهل البلدة الذين لا يعرفون صلات تجمعهم سوى القرابات والعائلات والنسب فقط. فجاء نموذج الإخوان المغاير، والتفافهم حول بعضهم البعض تحت راية شىء آخر ؛ كان هنا الدين، جاء فريدًا ويدعو إلى الإعجاب.

تُنُوقلت حولهم وعنهم الحكايا التى تقص أنهم يكفلون بعضهم البعض بالمال والنفقات، ويوفرون فرص العمل لشبابهم، والأزواج لبناتهم. مما زاد من هالة التبجيل والاحترام لهذا الشىء المجهول غير المألوف. وفى نفس الوقت، أضافت سرية الاجتماعات التى لم يكن أحد يعرف آلياتها ولا مناهجها، البريق على كيانهم المنظم فجعل الانضمام لهم حلمًا للكثيرين.

كانت الأبواب مفتحة أمام الإخوان لإلقاء الدروس فى المساجد فى أيام الأسبوع المختلفة، وكان منهم من يتمتعون بكاريزما جذابة يلتف حولها كبار السن والنساء، أما الرجال من أهل البلدة فكان الأغلبية منهم يؤمنون بأنهم مكتملو الدين ولا ينقصهم دروس من أحد. ولذلك اقتصر دور الإخوان فى البداية على فئة المُسنِّين والنساء اللواتى وجدن فى عظات الصبر على المكاره وعلى الأذى راحة نفسية عظمى نظرًا لما كُنَّ يعانينه من قهر متوارث، ويورث بطريقة آلية فى هذا المجتمع الساحلى المغلق، الذى لا يعترف أن للمرأة الحق حتى فى أن يكون لها اسمها المجرد كهدى أو نهى، بل لا بد أن تكون أُمًا لعادل أو حسين. ولذلك كان ميدان العمل مع المرأة ممهدًا أكثر من غيره من الميادين، فاتجه أغلب نشاط الإخوان الدعوى فى أول الأمر إلى المرأة... ثم وبالتدريج بدأ نشاطهم يمتد ويجذب الأنظار إليه.

كانت دروس الإخوان تكرس لطرح البديل الإسلامى المتمثل فيهم فقط، وكان تحركهم بالفعل منظمًا وممنهجًا لبرمجة عقول العامة على تقبُّل ما يُلقى عليهم فى الدروس الدينية التى تمهد لانتشارهم المخطط له.

جاءت الدروس لتطرح وتركز على مفهوم الطاعة، من موئلها الأعلى نزولاً حتى الزوج الذى تفرد له أسابيع متصلة، والرقائق والأوراد اليومية التى كتبها الإمام، أو شروحاتها التى كتبتها أقلام إخوانية بهدف تقديم الأسماء المراد تلميعها وتقديمها فيما بعد.

كان أسلوبهم يتراوح ما بين الترغيب والترهيب، وإن كان التركيز على الترهيب لبيان عقوبة العُصَاة الذين لا يتمسكون بالطاعة والتسليم التام الذى يرتكز عليه فكر وكيان جماعة الإخوان؛ متخذين الترهيب من عذاب القبر وعقوبة تارك الصلاة مدخلاً للتاثير على المستمعين.

أما الترغيب فكان دومًا فى الجنات السماوية التى يتوهم السامعون أن الإخوان وحدهم يملكون مفاتيحها .

كانوا يعتمدون على الأنشطة التى لها مردود مجتمعى دعائى مثل مسابقات حفظ القرآن الكريم والتى يقيمون لها الحفلات الدعائية، ويقدمون لها الجوائز المالية والعينية ويدعون إليها الدعاة من الإسكندرية المجاورة.

وبالتوازى كان هناك الحديث عن الجهاد حيث كان الجو مهيئًا بما يحدث فى أفغانستان بعد غزو السوفيت لها فى ١٩٧٩، ثم حروب البوسنة والشيشان وفلسطين.

وهكذا ما بين مفهوم الطاعة والجهاد، نجد أمامنا من يسلم مقاليده للخطيب المُفوَّه، طائعًا طامعًا فى جنة علوية مفاتيحها فى يد جماعة الإخوان المسلمين.

كان التحرك المنظم والذى يتطلب نفقات ليست بالقليلة مثار تساؤلات. ثم كثرت التكهنات عن وصول الأموال من جهات معينة منهم تعمل بالخارج لتأمين الانتشار الإعلامى الواسع بين فئات المجتمع؛ مما تسبب فى تركيز الانتباه عليهم.

وكان ذلك أيضًا سببًا رئيسًا جعل فئة واسعة من الشباب تعمل جاهدة للانضمام تحت راية الجماعة؛ بغية التمتع بتلك الأموال التى يرون كيف أنهم ينفقونها هنا وهناك على الأمور التى تزيد من الدعاية للجانب الخدمى الذى يقدمونه للعامة.

تلك الفئة من الأنصار لم يجذبهم سوى المكانة والميزة المعنوية والمادية التى تمتع بها أفراد الجماعة فى ذلك الوقت. دفعهم لذلك الظروف الاجتماعية الصعبة والحالة المادية المتعثرة لأكثرهم، لأنهم رأوا كيف أن أعضاء الجماعة يتمتعون بنوع من الدعم المعنوى والمادى الذى رفع من شأن أفراد كان ينظر لهم بالمفهوم المتوارث للمدينة القائم على العصبية للعائلات، على أنهم من عائلات غير أصيلة أو عادية، فجاء الانتماء للجماعة لينسبهم إلى كيان جديد يعطى البريق لأفراده ويعوضهم عن عُقَد الدونية التى عانوها فى المدينة التى تقدر الفرد إما لمكانة عائلته؛ والتى لم تستمدها إلا من ثروتها، أو من مساحة الأرض التى يمتلكها حتى ولو من عائلة غير أصيلة حسب تقاليد المدينة .

ولكن المساعدات المادية الفعلية اقتصرت على أفراد الجماعة نفسها والتى مكنت الكثير من الزواج وإقامة المشاريع التجارية التى ظهرت فجأة لتحسن أوضاعهم المادية. هذا وسط نظرات الاستغراب من أهل المدينة الذين يعرفون تمام العلم المستوى المادى لكل فرد فيهم. وفى الوقت نفسه، لو قرر الإخوان منح غيرهم شيئًا، كانوا فقط يمنحون ما قد تم الاتفاق عليه مما يخدم الهدف

الدعائى لتواجدهم وهو كالفتات. ولذلك كانت المساعدات إن ذهبت خارج نطاق الجماعة المغلق، فلتكن ملابس تُوزع علانية ليعرف عنها القاصى والدانى، أو جوائز لأوائل الشهادات فى احتفالات تملأ إعلاناتها المدينة.

كان الإخوان فى مرحلة استمالة القلوب وكسب تعاطف العامة ولفتهم فيما يسمونه «نشر عام» كتمهيد لمرحلة الضم والتكوين. كانوا فى مرحلة الإعداد للمستقبل الذى سيحتاجون فيه الكثير من الأنصار والمعجبين والعمال، أكثر من حاجتهم للأعضاء أنفسهم الذين ظلوا يستأثرون بالميزات المادية والمعنوية كوارثين للمجد القديم والذى يعلو أكثر عندما تتناقل الألسنة أن الشرطة اعتقلت منهم أحدًا..

لم يكن الإخوان يتحدثون بصورة مباشرة عن نيتهم للترشح فى الانتخابات أو نيتهم للاشتغال بالسياسة. ولكنهم وفى نفس الوقت الذى كانوا فيه يلقون دروسهم عن حرب أفغانستان الأولى فى وجه الشيوعية، ثم البوسنة والهرسك والجهاد بصورة عامة، كانوا يغرسون فكرة العالمية الإسلامية والشمولية التى قام عليها الإسلام كدولة فى أوج قوته. يقارنون بين الحال اليوم وما كان عليه سابقًا بأسلوب رائع يرمى إلى نقد الحال السياسى الآنى المتردِّى، وإظهار الحاجة لعودة حكم الإسلام، والذى لن يكون إلا على يدهم كتيار سيتقدم لخوض الانتخابات بكل ثقله بعد أعوام قليلة.

وجد الشباب أنفسهم أمام نموذجين، نموذج الإخوان الذى انتشر سريعًا مستغلاً طبيعة المدينة المحافظة التى تنعت من ليس بمتدين ظاهريًا بأنه كافر شيوعى، فكان لا بد من ستار يتخفَّى حوله ضعاف النفوس والجيوب، ولم يكن هناك أفضل من ستار التدين ليتخفوا وراءه؛ وإن لم يلتزموا فعليًا بتعاليمه، وتحول مظهر المدينة ليحاكى ملابس نساء الإخوان، والذى جعلها فى الثمانينيات تبدو فى الصباح وقت خروج الطالبات للمدارس وكأنه موسم الحج، فالجميع بغطاء الرأس الإخوانى بتفصيلته القديمة قبل التطوير.

والنموذج الثانى كان التيار الماركسى، والذى لم يستطع أن ينتشر بصورة واسعة لأنه اقتصر على دائرة ضيقة من المعارف والأصدقاء. وعندما حدث ما لم يتوقعه أحد وانهار الاتحاد السوفيتى الرمز، لم يبق غير الإخوان فى الساحة أمام الجميع. صحيح كان هناك تواجد للأحزاب الأخرى مثل الوفد بجانب التجمع، ولكنهم لم يتمكنوا من احتواء الشباب المتطلع نحو آفاق جديدة من الحرية والمعرفة، وأيضًا لم ينتبهوا لضرورة الالتحام بعامة المجتمع، مثلما فعل الإخوان بتركيزهم على الجانب الخدمى الدعائى الذى يجذب الإنسان العادى.

ووقع الشباب فى التِّيه، ولم يجدوا من يأخذ بأيديهم، فلا تواجد فعليًا إلا للإخوان ومن الصعب أن يعتبروهم أعضاء لهم كل الحقوق التى يتمتع بها الآخرون فى صفوفهم.

خلا الجو إذًا لكل من يقول أنا هو الطريق والحق والحياة، أنا فقط الذى أعرف الله فاتبعونى، أنا الفرقة الناجية، والباقى مبتدعون. وزاد التيار السلفى الطين بِلَّة، وعارض الكثير من أقوال الإخوان المنفتحة على حد زعمهم، وظهرت الكثير من السجالات والصولات والجولات للفريقين.

سألت نفسى وقتها ـ كنموذج ـ لماذا أجد نفسى منجذبة إلى جماعة الإخوان المسلمين؟ فكانت الإجابة إنه الفراغ الذى يلفنا كفتيات فى مدينة لا تمنح لغير الذكور شيئًا.

صحيح أنى نشأت فى عائلة سقف الحرية بها عالٍ بالمقارنة مع غيرنا، وفيها نمت فىَّ ملكة القراءة والتساؤل بمساعدة والدى الذى كان لعمله كضابط بحرى أثره فى سعة أفقه والتى جعلته يشركنى معه فى نزهات كان الرجال يستأثرون بها مثل صيد الطيور والأسماك. لم يكن أبى يخجل أبدًا من أن يرانى أهل المدينة المحافظة وأنا أسير بجواره أحمل بندقية الصيد أو ماكينة الصيد. لم يكن والدى يدرى أنه وهو يعلمنى كيف أريح بندقية الصيد على كتفى، ويرشدنى إلى الجزء الذى ينبغى أن تستقر الرصاصة به، ومتى أحبس أنفاسى، ومتى أتخذ القرار لأضغط على الزناد فى اللحظة المناسبة، لم يكن يدرى أبدًا أنه يخلق بداخلى شخصية مستقلة لن تقبل بعد سنوات عديدة أن تكون تابعًا لا رأى له، ترفض أن تقول سمعًا وطاعة دون أن تُعمل عقلها فيما خلقه الله له من تفكير وتحليل وتساؤل.

ولكن على الرغم من ذلك فهذا كان استثناء وغير منتظم وعلى أوقات متباعدة، ولم يكن هناك مجال لفعل أى شىء آخر أو للتفكير فى أى شىء سوى إعداد وتجهيز طعام الغداء ومشاهدة برامج قنوات التلفاز المحلية.

وقتها لم أكن أعانى بمفردى، كان هناك شباب خرجوا عن تعاليم المدينة المائية والزراعية، بالقراءة والاطلاع، وعرفوا أن هناك عالمًا غير البحر الذى يحدهم شمالاً، وغير البحيرة على الجانب الآخر التى تُطّبق على أحلامهم لتقتلها فى مهدها كى يرثواحرفة الصيد عن الآباء والأجداد، كى يريحوا آباءهم الذين يعملون أُجراء فى مزارع الغير.

ومثّل الإخوان بنموذجهم المحاط بالسرية والكتمان أملاً أمام البعض، توهموا أنها هوية جديدة بدلاً من حالة التشظى، أرادوا وأردت أن أشعر أنى أنتمى لكيان ما. وأزعم أنه لو كان هناك تواجد لأى اتجاه آخر وقتها أمامنا، لتاقت أنفسنا للانضمام إليه حتى لو كان جماعة عَبَدة الشيطان ذاتها !

كانت مجرد حالة تطلع للمستقبل فى وقت كنا نعيش فيه حصارًا على جميع الأصعدة فى المدينة. من أسعدتهم الظروف قد انضموا بالفعل للاتجاه اليسارى الذى ظهر وبقى متواريًا، يظهر على استحياء ككيان اسمى فقط، أمّا باقى الشباب فلم يجدوا متنفسًا لهم، وظلوا فى موقع المشاهد المراقب المتطلع لما يحدث من حوله.

وقتها تعرفت إلى الفكر الاشتراكى عن طريق إذاعة موسكو والمجلة السوفيتية واشتركت فى مسابقتها الكبرى الخاصة بذكرى

ثورة أكتوبر الاشتراكية، وكنت من الفائزين وحصلت على المركز الثالث فى نهاية ١٩٨٧ وبداية ١٩٨٨ . وبدأت فى دراسة اللغة الروسية على أمل تكملة دراستى فى جامعات موسكو، هذا الحلم الذى انهار مع انهيار الاتحاد السوفيتى فانهارت معه أحلام الكثير من الشباب المتطلع لمستقبل كان على وشك أن ينير.

ومع مرور الأيام نجح الإخوان فى إثبات أحقيتهم بالانفراد بالساحة لأنهم انخرطوا بالعامة، صحيح بمعايير معينة، ولكنهم فهموا نفسية الغوغاء والدهماء التى تبحث عن مجرد وميض نور تسير خلفه حتى ولو كان نورا ذاتيًا منبعثًا من احتراقهم هم انفسهم - الغوغاء - دون أن يشعروا؛ هذا ما أدركته بعد زمن عندما انضممت إليهم وعرفت أن التبرعات والأموال التى تجمع تحت مسميات أعمال البر، لها مصارف أخرى؛ للدعاية الانتخابية مثلاً.

هذا ما كان يبدو لنا من الجماعة والتى رغم ذلك ظلت فيما بين افرادها شيئًا، وأمام الناس شيئًا آخر، وكان هذا ظاهرًا للعامة. ما هو مسموح به فقط تلك الدروس الممنهجة تحت هدف معين، أما غير ذلك فلا مجال لتعرف شيئًا أو لتشاركهم شيئًا. ما يسمحون لك بمعرفته تعرفه وفى الوقت الذى يحددونه هم فقط. كل ذلك كان يجرى ويزيدهم غموضًا وسحرًا بيننا.

الجامعة

مثل باقى الطلبة، كنا نشاهد ما حولنا، مرة من قَبيل التطلع ومرة من قبيل التساؤل. مرة تكتسى الجامعة بشعارات "الله أكبر ولله الحمد"، ومرة "سبعة على القمة"، مرة مذكرات مراجعة عليها الله أكبر ولله الحمد، ومرة إعلان عن حفل فنى ومواهب.

ويأتى موسم الانتخابات الطلابية وتشتد المنافسة، وللأسف كانت تأخذ شكل النصرة للدين أو لمن يزعمون أنهم سيصبغون الجامعة بالشكل الإسلامى. فينطبع فى أذهاننا أن الانتخابات هى نوع من جهاد الفئة المسلمة ضد الفئة الكافرة؛ أو لنقل الفئة التى لا تطبق الشرع.

المرشحون من الطلبة الإخوان تأتيهم التعليمات من رجال التنظيم من خارج أسوار الكلية. يرسمون لهم خطط الدعاية الانتخابية، وما على الطلبة إلا التنفيذ من خلال التواجد المنظم بين التجمعات الطلابية بشتى الوسائل. كنت على علم بالصلات التى تجمع بين المرشحين الحاليين للاتحاد، وأعضاء الاتحاد من الإخوان الذين تخرجوا بالفعل منذ سنوات سابقة.

فى الدعاية لجأ المرشحون من الإخوان إلى كل الوسائل لاستمالة المناصرين من الطلبة وكسب ودهم وتعاطفهم. هذا الأمر تجلى فى مرة من المرات التى حدثت فيها صدامات بين الطلبة، وتدخل الأمن لفض النزاع مما تسبب فى تقوية صورة الإخوان التى

يرسمونها على أنهم مضطهدون من قِبل الأمن. فكان من الطبيعى ان يتعاطف معهم الكثيرون من خارج صفوفهم ليخرجوا معهم فى المظاهرات التى تلت الاشتباك.

تعاطفى جعلنى أعود سريعًا إلى مدينتى لأنقل خبر الصدام وإلقاء القبض على بعض الطلبة المشتركين فى الاشتباكات إلى المسؤول السابق عن الاتحاد من الإخوة فى مدينتى.

وهذا كان الأسلوب المتبع من الإخوان لكسب الأنصار والمتعاطفين عن طريق التهويل من أمور عادية على أنها شجار مفتعل أمنيًا للقبض عليهم؛ لأنهم يرفعون راية الإسلام.

وعندما وصل الإخوان للاتحاد لفت نظرى الإنفاق الذى كان يفوق ميزانية الاتحاد، وهذا ما عزز القول بأنهم يتلقون دعمًا من الخارج كما يتلقون الأوامر. بالفعل كانت هناك خدمات اجتماعية للطلبة ومذكرات بأسعار رمزية، وماذا كان يريد الطالب غير ذلك ليصوِّت لهم فى الانتخابات؟ هى إذًا لعبة الانتخابات المحفوظة!.

فى مسجد الكلية الصغير ظهرت محاولات فرض السيطرة، مرة اخت من الإخوان تحدثك عن بركات الإمام البنا المجدد وكيف اغتاله الخونة، ومرة أخت أخرى أُصيبت بحمى الوهابية، أو السلفية تحرم كل ما يظهر من المرأة.

الإخوان يبيحون الوجه والكفين، فيكفِّره السلفى وهو يقبض على كُتَيِّب قادم من بلاد الحجاز يحرم وجود المرأة على كوكب الأرض تمامًا، ويجعلها مجرد خيمة سوداء.

الإخوان يسوقون الأدلة، فينبرى الوهابيون مرددين فتاوى ابن باز وابن عثيمين اللذين كانا لهما الأثر الأول فى الجدال العقيم وقتها حول تحريم التصوير والتليفزيون مطلقين على إريال التليفزيون رؤوس الشياطين، طبعًا قبل أن يفتح الله على بلاد النبوة بالقنوات الفضائية، ويصبح الأمراء ؛ وهم ولاة أمورنا الذين ندعو لهم بعد كل صلاة وفى حجنا واعتمارنا، هم من يمتلكون تلك القنوات !.

هكذا ما بين شد وجذب عادت رحلة التساؤلات وخاصة عندما كنت أراقب التغيرات على كلا الاتجاهين، فى التنازل عما بذلوا فيه الوقت والمال لنسخ الشرائط والكتب بهدف برمجة عقولنا تحت مسمى حلال وحرام.

كنت ألاحظ أيضًا التقارب الكبير بين أخوات الإخوان، كن مازلن يحتفظن بانغلاقهن إلا فى تلك الدروس التى ينتهزن الفرصة لإلقائها. وما عدا ذلك فلا توجد صداقات ولا محادثة عابرة مع غيرهن.

كان من النادر أن تمشى إحداهن مع واحدة ليست من صفوفهن، كن يحصلن على العرسان خُطَّابًا وأزواجًا وهن مازلن يدرسن، فى حين أن الدكاترة اللواتى يحاضرن لنا فى القسم غير متزوجات.

كان ذلك فى حد ذاته أعجوبة وإعجازًا وإنجازًا يثبت أن البنت فى صفوف الإخوان تحصل على العريس بلا أى مشاكل حسب

دورها. أما نحن من الفتيات العاديات، فكنا دومًا نشعر بالخطر. فتخرُّجنا فى الجامعة يعنى أننا على وشك العنوسة إن لم نتدارك الأمر بسرعة بعد التخرج بعام أو اثنين. أيضًا حالة الراحة فيما يخص انتماء الزوج المرتقب لصفوف الإخوان، كانت تخلق نوعًا من الأخيلة الناتجة عن الاعتقاد فى أن الزواج من الإخوان سيجعل الحياة سهلة، وأن الأسرة دومًا سعيدة، كما كانت الصورة تُرسم جيدًا من خلال الأخوات فى المسجد.

تخيلنا فعلا أنهم حققوا فكرة المجتمع المثالى الفاضل، الذى كنا نقرأ عنه!

كان الإخوان يرسمون صورة الفرد الصالح والأسرة السعيدة بدقة شديدة، وكأنها واقع تم تحقيقه فعلاً. تمنيت وقتها فعلاً أن يرزقنى الله زوجًا منهم حتى أعيش هذا النعيم الأرضى الذى سيؤدى بى إلى النعيم السماوى.

فقد ظننت أنهم حققوا على الأرض ما نادى به كل المُنظِّرين للمجتمع الفاضل، وكل ما نادت به الشرائع من عدل ومساواة.

كنت أتمنى تحقيق تلك الأمنية الغالية مستفيدة من دخول الإخوان مرحلة الانفتاح على المجتمع،أردت الانضمام إلى هذا المجتمع الفاضل وأكون عضوة فيه، وتحقق لى ما أردت، بل وأكثر مما تمنيت، سأسافر إلى السعودية إلى بلاد الرسول حيث خرج الدين.

وسافرت فى عام ١٩٩٣ لأدرك، بعد أن أقمت فيها ما يقارب السنوات العشر أن الدين قد خرج فعلاً منها ولكنه......... لم يعُدْ!!!

الفصل السادس

في السعودية

السعودية أرض المذاهب

كنت فى البداية ومثل كثيرين غيرى لا أفرق بين ما هو فكر وهابى أو إخوانى أو جهادى. كنت أعتقد أن هدف الجميع واحد لا يخرج عن الجانب الروحانى الدينى فقط الذى يسمو بالفرد ويقوِّم سلوكه وتعاملاته؛ انطلاقًا من خلفية سماوية واحدة وهى الدين الإسلامى ورسول واحد هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وصلت إلى الرياض ونزلت للعمل بالمدارس الخاصة أو كما يطلقون عليها مدارس أهلية. وجدت أن المجتمع المدرسى الذى تواجدت فيه يشكل مسرحًا لكل المذاهب والنِّحَل. وفى الوقت نفسه، لا يجرؤ أحد على التصريح أو حتى الحديث عن شىء يخالف شرعة المجتمع السعودى الذى انتهج مذهب الإمام محمد بن الوهاب منذ تأسيس الدولة، واتخذ منه المصداقية الشرعية لتولى الحكم بعد آل الرشيد.

تعرفت إلى شخصيات عديدة، وكونت صداقات مع شخصيات تنتمى لتيارات مختلفة، منها من ينتهج الفكر الوهابى بحكم الصلة العائلية بسماحة الشيخ بن باز مفتى عام السعودية. ومنها من ينتمى للفكر الشيعى الزيدى بحكم الصلة العائلية بالإمام يحيى حميد الدين. ومنها من ينتمى إلى الإثنى عشرية الجعفرية كانتماء مذهبى. ومنها صلتى الإنسانية بسمية الإسلامبولى شقيقة خالد الإسلامبولى ؛ تلك الصلة التى نشأت نتيجة عملنا فى نفس المكان، وجعلتنى أقترب منها لأعرف معنى أن يكون لك فكر مختلف قد يكلفك حياتك أحيانًا، ويمنع عنك حق زيارة الأحباء الذين تفرقوا فى بلاد الله التى تتسع دومًا بعيدًا عن المكان الوحيد الذى تحن دومًا إليه.

صلابة تلك المرأة تمثلت فى وداعتها وفى روحها الجميلة، ومع ذلك كانت تسير وعلى كتفيها ما تظن أنه شرف عائلى لأنها من تلك العائلة التى أخذت ثأرها بيدها.

لم تكن دموية أبدًا، كان الموضوع بالنسبة لها وكأنه مثل قدر الرجل الذى يهبُّ للقصاص ممن اغتصب شقيقته، فهل يندم بعد أن يقتل المغتصب؟

ولا يعنى هذا أيضًا أنه بالضرورة سيسلك مسلك السفاحين طيلة حياته. كنت أنظر فى عينيها وأرى دموعها المتجمدة المختلطة ببسمة دائمة وهى تخبرنى عن أولادها،عن والدها، عن خالد، عن

محمد، عن أمها التى ارتحلت، ولم ترها منذ زمن ولا تستطيع البوح حتى بمكان تواجدها الذى تحاول جاهدة أن تنكر معرفتها به.

سمية الإسلامبولى كانت السبب فى تنامى هذا الجزء من شخصيتى الذى جعلنى أبحث دومًا عن فكرة أو مبدأ أنتمى إليه، اتبعه، وأتحمل نتائج اختيارى له.

عرفت (ف) من حفيدات الإمام يحيى حميد الدين. كونها شيعية فى مجتمع ينعت الشيعى بالشرك والكفر، جعلها تخفى صلتها بالإمام. ولكن تمتعها بجنسية دولة غربية جعل الهمسات تتناقل سرًا أنها تتمتع بحق اللجوء السياسى لتلك الدولة وأنها شيعية المذهب.

لم يكن هناك أى وعى بأن هناك فرقًا بين أن تكون شيعيًا تتبع الإثنى عشرية الجعفرية أو الزيدية. كان الحكم واحدًا على الجميع بالشرك؛ ولذلك كان الكثير يتجنبن الحديث معها أو الاختلاط بها.

جاء احتكاكى بها عن قرب، وجدتها فتاة كأى فتاة فى هذا المجتمع الخليجى الذى نجهله. لا تعرف عن تاريخ جدها الأكبر شيئًا ولا عن تاريخه السياسى الموضوع عليه علامات حمراء كثيرة.

حقًا، لم يكن هناك فارق بينها وبين (أ) حفيدة بن باز. كلتاهما لا تحملان من المذهب غير الاسم، والاهتمام لا يتعدى صيحات الموضة ومعارض الأزياء ورحلات الربيع والصيف المعتادة إلى الخارج.

(أ) حفيدة هذا القطب الوهابى، الذى كان مازال يناقش حكم الدين فى التصوير والمصور، كانت ببراءة الفتيات المشاكسات تحكى صولاتها وجولاتها فى كيفية الخروج بما يروق لها ومشاهدة ما تريد فى أوقات غياب الجد الذى لا يدرى بفطرته وبعزلته عما يجرى حوله شيئًا. ففى الوقت الذى كان فيه مازال يرفض الظهور على شاشة التليفزيون محرِّمًا الإيريال والدِّش، كانت الفتيات يتناقلن الحكايا عما يجرى على القنوات الفضائية.

عندما كنت أصادف الشيخ بن باز وهو فى طريقه للديرة فى قلب الرياض العاصمة، وأراه متكئًا على ذراع مرافقه، أتذكر المسلمين الأوائل بعد الهجرة، ببساطة أفقهم الذى لم يتجاوز حدود سجادة الصلاة، وأحلامهم فى جنة علوية تعوضهم عما تاقت إليه أنفسهم فى الحياة الدنيا ولم تبلغه أيديهم. لم يكونوا يعرفون عن الدنيا والعالم الشاسع من حولهم غير ما تناقلته الألسن عن رحلات الشتاء والصيف.

وأتعجب هل هذا جد (أ) التى تعرف عن فيرزاتشى أكثر مما تعرفه عن دروس جدها؟

وجدت بنات وحفيدات رموز إخوانية ممن فروا إلى السعودية ليتخذوها ملجأ بعد الملاحقات والتضييقات الأمنية عليهم فى مصر. كن قليلات الكلام يتمتعن بالاحترام ولا يتحدثن عن السياسة أو أى شىء، نفس أسلوب أخوات مصر السابق. لهن مجتمعهن الخاص، والمدرسة بحكم أنها فى دولة تتبع الفكر الوهابى، كان من

الأسلم لهن عدم الخوض فى الأمور الخلافية أو حتى إظهار انتمائهن، من أجل الحفاظ على الوظيفة والإقامة.

كنت فى هذا الجو، أختلط وأراقب، كل المذاهب حولى مجرد مسميات فقط وممارسات قولية كلامية هدفها تكفير الآخر. الجو العام نفسه ملىء بالضغينة، وكل فريق يحسب أنه هو وحده على حق والباقى على باطل، يستشهدون بحديث دون آخر، ويطوعون التفاسير المختلفة من أجل إضفاء الشرعية على تواجدهم دون غيرهم من المذاهب أو الاتجاهات.

ومن الحوادث الطريفة التى حدثت داخل مدرسة من المدارس الخاصة التى تجمع كل الجنسيات العربية جنبًا إلى جنب على اختلاف مشاربها وأطيافها المذهبية، وظهرت فيها براعة الجميع فى سياسة الانتقاء والتوظيف للشريعة الإسلامية لتوافق اتجاهاتهم، أن قامت فتاة من دولة عربية بمعايرة فتاة سعودية بأنها ينطبق عليها حديث نبوى يتحدث عن أشراط الساعة ومنها (رعاء الشاة الذين يتطاولون فى البنيان) وذلك بعد ظهور مبانى الأمير الوليد بن طلال ومنها (المملكة)، وأنها تأكل الضب ذلك الحيوان البرى الذى يشبه ديناصورًا صغيرًا أو سحلية كبيرة، وأن الرسول نفسه لم يأكله.

وقامت بعدها حرب كلامية ضَرُوس انتقل فيها الكلام من قسم الفتيات إلى القسم المخصص للبنين. وانخرط المدرسون من الرجال الذين ينتمون أيضًا للفريقين المتناحرين. فكان الأمر حرجًا بالنسبة

لصاحب المدرسة السعودى بالتجنيس وزوجته مديرة قسم الفتيات ؛ فقط لأن أصولهما تعود إلى نفس بلد البنت صاحبة اللسان اللاذع. فلو كانت البنت مصرية مثلاً لقامت إدارة المدرسة بطردها وانتهى الأمر، دون الأخذ بأى اعتبارات أخرى.

فما كان أمام صاحبَى المدرسة إلا أن استخدما نفس سلاح الانتقاء من الأحاديث النبوية أيضًا.. أقاما وليمة كبيرة، وجاءت الصوانى الكبيرة مليئة بالأرز الفاخر المحشو بالمكسرات والزبيب وفوقها قبعت قطع لحوم شهية المنظر، وانهمك الجميع فى الأكل، وفى غمرة انهماكهم فى تقاذف قطع اللحم وجدوا أوراقًا مكتوب عليها الحديث الخاص بتناول لحم الضب وأن الرسول الكريم إن لم يكن أكله فهو لم يَنْهَ عن أكله. وأسقط فى يد الجميع فقد تناولوا لحم الضب دون أن يدروا.

وهكذا حديث بحديث وانتهى الموضوع بتحذير لكل من تسول له نفسه بمعاداة عوائد المجتمع الذى يعيش فيه، فالأحاديث موجودة وتأويلاتها سابقة التجهيز موجودة أيضًا.



كنت غريبة فى مجتمع غريب، وحتى تلك اللحظة كنت لا أعرف شيئًا عن الأخوات فى السعودية، إلا اختلاطى السطحى بهن فى المدرسة. والذى بقى سطحيًا دومًا فى المدرسة؛ لأنهن كن حريصات منغلقات جدًا على أنفسهن وعلى معارفهن الموثوق فيهن.

وعندما تناقلت الألسن تصريح وزير الداخلية السعودى الأمير نايف بن عبد العزيز الذى قال فيه "إن الإخوان سبب كل بلاء "، كان من الطبيعى جداً أن يزددن حرصًا فى نفس الوقت الذى اشتدت فيه التضييقات الأمنية على تواجد الإخوان فى المملكة، بعد أن تمتعوا بحق العيش والعمل لعشرات السنين فيها.

وقتها بحكم الزواج ظننت أنى تلقائيًا أصبحت فى صفوف الإخوان كجماعة، وظننت أن اختلاطى بفرع الأخوات سيحدث بصفة تلقائية وأنها مسألة وقت فقط. ولكن لم أَدْرِ هل أصبحت اختًا أم لا. فكل شىء كان يدور حولى، يتم تحت مسميات لا أدرى عنها شيئًا؛ مسميات تختلف عما عرفته من قبل.

جاء اختلاطى بمجتمع زوجات الإخوان وكأنه تعارف نسوة عاديات يتبادلن الزيارة والولائم. وفى تلك الزيارات والمناسبات التى بدت اجتماعية، لم يكن هناك حديث صريح عن نشاط الجماعة فى السعودية أو فى الرياض تحديدًا. ولكن كانت هناك دومًا نميمة النساء المعتادة والسؤال الفضولى الثابت عن موقعها التنظيمى التى كانت تتمتع به فى مصر قبل مجيئها إلى الرياض.

لاحظت أنهن يتهن بمواقعهن الإدارية وبمناهجهن التربوية التى درسنها، كنت ألزم الصمت فلا تاريخ لدىَّ لأسرده مثلهن. ولا مجال حتى للسؤال عن كيفية أن يكون لى مكانة ومسمى مثلهن.

وبقى الحال طويلاً لا يخرج عن أننا كنا نجتمع على فترات متباعدة فى استراحة.

والاستراحة فى السعودية عبارة عن مكان واسع يتم تأجيره لعمل وليمة أو لقضاء يوم مع الأصدقاء، وفيها قسم مخصص للنساء، وقسم آخر منفصل للرجال، وتكون الاستراحات غالبًا فى أماكن بعيدة على أطراف الرياض بعيدًا عن قلب العاصمة المزدحم.

لم أكن أعرف أحدًا من الوجوه التى أراها، وهن من ثَمَّ كن يختلطن بى فى أضيق الحدود. ففى مفهومهن كنت مازلت جديدة ولا ينبغى الحديث أمامى عن أى شىء، ومن الأسئلة الاستعراضية أدركن أنى لا أتمتع مثلهن بتاريخ فى ساحات المساجد وليس لى مسمى من تلك المتعارف عليها.

وبدورى لم أكن أعرف شيئًا، فكنت أعتقد أنها مجرد نزهة نغير فيها جو المنازل التى نقضى فيها أغلب الوقت. كنت أسمع إحداهن تسأل عن زوج أخرى، وهكذا كان التعارف يتم عن طريق اسم الزوج، وأحيانًا كان اسم الزوج كفيلاً لجعل الكثيرات يلتففن حول إحداهن لأهمية الزوج فى التنظيم.

كان غير مصرح لأى أخ بتوضيح مسماه أو مركزه فى التنظيم لأى شخص، حتى الزوجة التى ربما يضطرها ضعفها الأنثوى للتعالى أو التباهى بمكانة زوجها لأن تبوح بما لا يجب البوح به فى تلك الفترة المضطربة.

ولكن بمرور الأيام تسببت تلك السرية فى مشكلات زوجية كثيرة فى تلك البيئة المنغلقة، التى تحتِّم على الرجل اصطحاب زوجته إلى أى مكان أو فى أى نزهة. ولم تفلح التربية الإخوانية أن تفرض

نفسها تمامًا على الزوجات فى تلك البيئة الخانقة التى تأخذ وقت الزوج نهارًا وليلاً فى العمل، ثم تُفاجأ الزوجة بعد ذلك بحالة الغموض الذى يلف زوجها حينما يتخلف عن العودة إلى المنزل فى الموعد المعتاد أو عندما يدعو أصدقاء له إلى المنزل ويكون عليها خدمتهم دون أن تعرف من هم، أو أين يتغيب زوجها أيامًا بعينها من أيام الأسبوع.

كل ذلك خلق الكثير من المشاكل والنزاعات، مما جعل المسؤول عن التنظيم فى المملكة يسمح للزوجات بالعمل الدعوى فى أضيق الحدود؛ لشغلهن وإبعاد شرورهن عن الأزواج المنظمين فى كل شىء.

كانت محاولة ذكية من المسؤول أوهمت الزوجات فعلاً أنهن سيتبوأن منزلة ما، وأنهن قد أصبح لديهن ما يشغل أوقات الفراغ الطويلة. وفى الحقيقة، فالمجال الدعوى الذى سمح به الرجال للنساء اقتصر على تلك اللقاءات التى كانت تتم فى الاستراحات، والتى كانت تبدو وكأنها حفل أو مناسبة اجتماعية تحت مسمى عمل عقيقة أو عيد ميلاد أو تهنئة بالشفاء. أما التشكيل الإدارى والمسميات وفق السلم المتعارف عليه فكان معطلاً.

عندما أعود بذاكرتى إلى تلك الفترة، أجد أن الإخوان كانوا يطبقون رسالة الإمام البنا الخاصة بالمرأة بحذافيرها، فهم يمنحونها مقدارًا مقننًا من كل شىء، من العلم والعمل والرعاية وكل شىء.

مكانة المرأة هنا كانت محددة بدقة ومعممة على الجميع؛ فلا ينبغى البوح لها بأى شىء، والاجتماعات النسائية التى تتم كنشر

عام فى الاستراحات أو مثل أُسَر تربوية فى البيوت بعد ذلك، لها مناهج عامة وموضوعات محددة من قِبل التنظيم نفسه لم تخرج عن طاعة الزوج وتربية الأولاد والإنفاق فى سبيل الله... وتلك الموضوعات لها أهدافها العامة والخاصة....

أولاً: طاعة الزوج

من المنطقى جدًا أن يكون هذا هو الموضوع الثابت، فالطاعة للزوج هى نموذج مصغر للطاعة الواجبة والمفروضة على كل أعضاء الجماعة. وكما لا يحق لك الاعتراض على غياب الزوج عن البيت، أو التدخل فى شئونه، هكذا يكون سلوك الجميع؛ الطاعة العمياء لكل القرارات التى تأتى من رأس التنظيم بداية من مكتب الإرشاد حتى المسؤول المباشر عنك.

وفى الوقت الذى تتعلمين فيه كيفية إثبات طاعتك العمياء، وترددين حديث حُسْن تَبعُّل المرأة لزوجها، يكون هو فى الجزء الآخر من الاستراحة ذاتها فى خِضَمِّ محاضرة عن الأسواق والنقد وكيفية اكتشاف تزوير الدولار والعملات المختلفة؛ مستعينين بأحدث التقنيات وشاشات الكمبيوتر وغيرها من الموضوعات الحيوية التى كانوا يستعينون فيها بموظفين من صفوفهم يعملون فى أماكن حيوية، مثل مؤسسة النقد السعودى وسابك والهيئات الحكومية والخاصة بغرض (رفع كفاءة الصف).

ثانياً : تربية الأولاد

كان إنجاب أكبر عدد من الأولاد من أطرف الوسائل التى لجأ اليها إخوان السعودية لشغل نسائهم، وملء أوقات فراغهن الطويلة. فكان من الطبيعى جداً أن يتجاوز عدد الأولاد الستة أطفال. والأخوات فرحات معتقدات أنهن يقدمن أعظم الخدمات للدعوة والدين بإنجاب المزيد من الأطفال لعل الرسول يباهى بهم الأمم يوم القيامة، والأزواج فرحون لانشغال النساء بالأطفال فلم يعد لديهن الوقت للسؤال عن تغيبهم المتكرر عن البيت دون تقديم تبريرات، مخفين حقيقة اللقاء الأسبوعى الثابت والشهرى وكذلك اليوم الرياضى واليوم المخصص لاجتماع ذوى المهنة الواحدة أو التخصص الواحد وغيره من الأنشطة الرجالية المنتظمة.

هكذا أصبحت المرأة مقسمة ما بين زوج وأولاد ؛ تماماً كما رسم الإمام البنا دورها فى رسالته. قاصراً دورها على المطبخ والفراش، وإنجاب الأطفال.

ثالثاً : الجهاد بالإنفاق

عنوان فَضفاض كانت تدور حوله دروس الاجتماعات التى تبدأ بالحديث عن الجهاد، وأن الجهاد المتاح للمرأة فى هذا العصر هو الجهاد بالمال.

كانت دعاوى الإنفاق تأتى تحت مسمى التبرع للبوسنة والهرسك، خاصة بعد مذابح كوسوفا مارس ١٩٩٨. وأيضًا لفلسطين، وفى كل الأحوال كانت الأمور تتم على خير وجه. فيبدأ اللقاء بدرس دينى عن الصحابة الأوائل وكيف أنهم تركوا أموالهم فى مكة من أجل الهجرة إلى المدينة، عن صُهَيب وعن غيره، عن حياة التقشف التى كان يحياها المؤمنون الأوائل. وهنا وفى غمرة التأثر الانفعالى تتم عملية التبرع، فكان الحماس يتلبس الجميع لدرجة التبرع ليس بالنقود فقط، بل بالحلى والمشغولات الذهبية أيضًا. وهكذا تجد الجماعة بابًا آخر لتمويل أنشطتها إلى جانب تلك النسبة التى اتفق رموزهم على منحها للجماعة بصورة ثابتة. طبعًا كانت المسؤولة عن جمع النقود لا تبوح بحصيلة اليوم لأحد، وتقوم بتسليم كل شىء للمسؤول من الرجال متباهية بنجاحها فى يومها الدعوى.

تكررت لقاءات الاستراحات بنفس الموضوعات الخطابية الثابتة، الزوج، الأولاد، الجهاد، ثُم لا شىء.

اعتبرت الأمر صورة من صور استغلال المرأة أيضًا فى صفوف الجماعة. فكما يتم محو شخصيتها وهويتها تحت مسمى الطاعة، وقصر دورها فى الحياة على إنجاب الأطفال وعدم الاعتراف بأن لها دورًا رئيسًا فى الدعوة مثلها مثل الرجال، يتم أيضًا عمل غسيل مخ لها تحت مسمى الإنفاق حتى تصل إلى مرحلة ربما تزهد فيها فى الحياة نفسها كما زهدت فى مالها وحُليها فى لحظة انفعالية لم تنبع منها ومن ذاتها، بل كانت تحت تأثير وقتى لخطبة عصماء من أخت متمرسة أدت دورها بمهارة.

وهكذا نجح الإخوان فى تدجين النساء تحت دعاوى الطاعة والجهاد، بشرط انتظار الثواب فى الآخرة لا فى الدنيا.

عرفت بعد ذلك أنى كنت أُعامَل تحت مسمى (زوجة أخ) أى مجرد انتماء خلق لى مسمى بعيدًا عن سلم الدرجات المتوقف، تلك المكانة لم تكن تخولنى وقتها لمعرفة أى شىء، أو حتى لمعرفة هذا المسمى الذى عرفته بعد ذلك، لم أكن أعرف ما يدور.

كانت السرية فى كل شىء، كنت أرى الزوار الذين يأتون إلى المنزل ويمكثون وقتًا طويلاً فى أوقات معينة والكتب التى أتمكن من رؤيتها عَرَضًا ثم تختفى. لم أسترح لهذا الغموض وخاصة فى ذلك الجو الملىء بالعزلة والذى يدفع المرء لكى يبحث عن أى شىء يتعلق به سواء لينين أو حسن البنا لا فرق، المهم هو أن يكون هناك شىء يملأ الفراغ.

كثرت أسألتى دون أن أجد إجابة حتى تمت دعوتى إلى بيت شخص ما، وكانت هناك بعض الزوجات غيرى. كن فى مصر لهن خبرة فى صفوف الإخوان كمسؤولات عن (الزهرات) فى بعض المساجد، والزهرات هى تلك التسمية التى يطلقها الإخوان على الفتيات الصغيرات فى المرحلة الابتدائية وبداية الإعدادية، أما الأولاد فيطلقون عليهم الأشبال. كانت لديهن المعرفة بالمقررات التى من المفروض أن ندرسها، فلكل مرتبة أو مرحلة فى التنظيم المنهج التربوى الخاص بها، وفى البداية يكون بسيطًا ثم يتدرج حتى يشتمل على الشق الدعوى والإدارى (المتوقف) وهكذا.

باختصار، لم تكن مرحلة السعودية رغم طولها النسبى، مرحلة واضحة المعالم ولا تسير حسب المنهاج الذى يسير عليه الإخوان فى مصر فى الظروف العادية، ولم تتعدَّ تلك اللقاءات كونها وسيلة لجأ اليها إخوان السعودية لشغل وقت فراغ زوجاتهم بشىء كالفتات لا يغنى ولا يسمن من جوع. بالإضافة إلى أن كل شىء كان يتسم بالسرية التامة.

أما الحَدَث الجَلَل بالنسبة لى فعلاً فى هذه الفترة فكان عندما عرفت بطريقة غير مباشرة اسم المسؤول العام عن الجماعة، وعرفت أن بيده كل الخيوط التى يدير بها أفرع الجماعة فى مناطق المملكة الممتدة، والذى يرتب فرص العمل والإقامة للإخوة الجدد الذين يأتون إلى المملكة للبحث عن عمل، وكل هذا وفق خطوات منظمة تبدأ قبل قدوم الأعضاء الجدد. فهؤلاء الوافدون يسبق قدومهم خطابات تعريفية من المسؤول عنهم فى المنطقة التى ينتمون إليها،وتتضمن تزكية وتعريفًا بنشاطاته السابقة والتى على ضوئها يتم تسكينه فى المكان الملائم.

طبعًا كانت لهذه المعلومة تبعاتها بعد ذلك، ولكن كل ما كان يهمنى وقتها هو أن أخرج من تلك الحالة من الصَّمَم الذى يُطَبق على الجميع، فلا يسمعون إلا ما أراد لهم المسؤول أن يسمعوه ولا يفعلون إلا ما أرادته تعليمات عُليا.

مشكلة الازدواجية التى أشرت إليها فى حديثى عن رسالة المرأة المسلمة وعن التطورات التى طرأت على الجماعة لخدمة أهدافها

المرحلية، كان لها أيضًا صور وأوجه عديدة فى هذا المجتمع الدينى الذى يغرق المملكة.

فالإخوان يحددون دور المرأة باسم الدين، والوهابية تمنع عن المرأة رؤية الشارع دون ساتر أسود على وجهها، والشيعة يعطلون بعض ممارساتهم الدينية، ويتحركون فى أضيق الحدود مركزين على مد نفوذهم التجارى من المنطقة الشرقية التى تزخر بهم إلى باقى مناطق المملكة.

الكُتَيِّبات.التى تكفِّر فيها كل فرقة غيرها من الفرق توزع بالمجان وفى كل مكان، وإن كان السائد والعام هو كتب الوهابية التى لم تترك شيئًا إلا وحرمته أخذًا بالأحوط.

كل ذلك والمجتمع نفسه مكتظ بغير المسلمين واللادينيين الذين قدموا من الهند والفلبين وبنجلاديش للعمل كخدم وكعمال. كل ذلك جعل من الدين مجرد ممارسات قولية وآليات لفرض السيطرة والقوة.

كان من الطبيعى أن يعتبر صاحبُ البيت الخادمةَ ملْك يمين يحل له التمتع بها. وكان من الطبيعى أن يستغل موظف المطار بياناتى الشخصية الموجودة فى جواز سفرى والذى اطَّلع عليها بحكم عمله، كان من الطبيعى بالنسبه له أن يتصل بى مرارًا على تليفون المنزل محاولاً عقد صداقة وما إليها من أمور يعتقد أنها عادية، رغم ما يحفظه من آيات وأحاديث.

وبقى الحال كما هو منذ عام ١٩٩٣ إلى عام ٢٠٠٢، كنت آخذ فيها إجازات قصيرة أعود إلى مصر، ولم أستطع أخذ دور مناسب

فى صفوف الأخوات. فعلى الرغم من الدروس والشروحات التى كانت من مهامى فى أحيان كثيرة والتى كانت وقتها أقصى ما يمكن أن يتم التكليف به، ويُعد فى حد ذاته اعترافًا بمقدرة الشخص المُكلف، إلا أنى عددتها أمرًا عاديًا طالما لا يخرج عن أمور بعينها، واعتبرت أن من العيب أن تقتصر الدروس على زوج وطفل ولا غير.

رأيت أنه من الإجحاف أن يدرس الرجال أشياء لها قيمة، ويستخفون بنا بمنهج يخدمهم فى الفراش والمطبخ ولا غير.

كنت أظن أنى سأجد لدى المُنظِّرين من الإخوان، نظرة مختلفة سامية تُخْرج المرأة من عباءة الغواية والدنس، وتجعلها إنسانًا فقط، دون التركيز على كونها تحمل فى جسدها مكامن المتعة التى اختلفت وجهات النظر حولها وعنها منذ بداية الخليقة.

كنت أتمنى أن ينظروا لها ككائن له شعور ومشاعر قبل أن يكون صاحب جسد ينبغى أخذ كافة الاحتياطات لطمس معالمه، وحتى طمس معالم بشريتها من فكر ورأى وحق فى المجاهرة بالشكوى.

لم أجد أنهم يختلفون عن غيرهم ممن انشغلوا بجسد المرأة أيضًا، ولكن بطريقة مغايرة لا لطمس معالمه بل لكشف دقائقه والتمتع به قدر المستطاع؛ المرأة كانت جسدًا فقط لدى الجميع من متطرفى الفكر يمينًا ويسارًا؛ وإن اختلفت طريقة التعاطى معه. فريق أراد حبسها فى البيت من أجل حماية المارِّين من الغواية التى تحملها رغمًا عنها فى أعضائها المؤنثة، وفريق آخر أرادها مستباحة كى تكفيهم عناء المحاولة والصد والرد.

وفريق رفع الدين كمُسوِّغ لحبسها فى البيت حتى يتوفاها مَلَك الموت، والفريق الآخر رفع شعار الحرية كى يصل لما تاقت إليه غريزته فقط.

المرأة كانت الشغل الشاغل لجميع المتطرفين فكريًا، والنظرة واحدة فقط؛ جسدها فليس لديها عقل فهى ناقصة العقل والدين. وربما لا تتمتع بامتلاكها روحًا مثل الرجل!!.

وهكذا ما بين الحجب والاستباحة تتهافت الفتاوى وترتفع الأصوات، والمرأة حائرة بين الفريقين. وفى النهاية ضاعت معالم وجود المرأة ككائن حر له ميزاته الخاصة. فأصبحت تمشى فى الشارع نصفها العلوى تغطيه بما أطلقت عليه حجابًا يغطى شعرها كى تُرْضى الدعاة الجدد، والنصف السفلى ينوء بضيق تنورة أو بنطلون استريتش تثبت به امتلاكها لمكامن أنوثة تنتظر من يساعدها لتفصح عنها بصورة جلية.

كنت فى البداية ألتمس للجماعة العذر فى نظرتهم القاصرة لدور المرأة وعملهم الدؤوب لتهميشها، ملقية باللوم على طبيعة المجتمع المغلق فى السعودية، وقلة الحركة فيه، والفرص المعدودة للاجتماع مع غيرى من أخوات الجماعة.

كنت أعتبره أمرًا طارئًا وسيتغير، ولكن مر الوقت، ولا تغيير فيما يخص النظرة القاصرة لدور المرأة ، أو حتى الاعتراف بأن لها دورًا رئيسًا فى الحياة بجانب دورها الطبيعى المُسلَّم به كأم وزوجة.

شعرت بالازدواجية فلم يكن هذا ما أريد أن أحياه، لم يكن هذا هو المجتمع الفاضل الذى تخيلته كما رسمه المنظرون من الإخوان فى كتبهم، ولا بطاركة رجال الدين على اختلاف مذاهبهم. فما يقولونه شىء، وما يفعلونه أشياء أخرى مختلفة كل الاختلاف.

وفى لحظة يأس من الجميع قررت العودة إلى مصر بمفردى.



الفصل السابع

العودة إلى مصر

عدت إلى مصر وانتظرت أن يتصل بى أحد من الإخوان كى يتم تسكينى فى صفوف الأخوات، ولكن لم يتصل بى أحد فور عودتى.

مر وقت ليس بالقصير أبدًا عرفت فيه أن انتقال عضو فى الجماعة من مكان إلى مكان آخر يخضع لآلية ثابتة قد تأخذ وقتًا طويلاً، حتى لو كان الانتقال داخليًا، أى من منطقة إلى أخرى داخل المدينة ذاتها.

ولكن فى بعض الحالات يتم الأمر بسرعة لو كان المنتقل ذا شأن تنظيمى متقدم، أو كان من الإخوة من أصحاب المال والعقارات والتجارة المتشعبة التى تدر الأموال على التنظيم. لذلك كان الوضع بالنسبة لى صعبًا إلى حد ما، لأنى قادمة من الخارج تمامًا، ولا بد لى من توصية من شخص له مكانة، يتم بعدها إصدار الأوامر لمسؤولة من الأخوات لتتصل بى، وقد كان.

واتصلت بى إحداهن ممن لها صلة عائلية وثيقة بواحد من بطاركة الإخوان المتمتعين بالمكانة المميزة إداريًا وماليًا؛ لأبدأ أولى المراحل الفعلية فى طريقى للتدرج فى السلم المعروف. وبدأت من جديد مرحلة الزوجات أو ما كانت تعرف بمجموعة المسجد، والتى كانت تقتصر اجتماعاتنا فيها على اللقاء فى مسجد صغير بمنطقة سيدى بشر .

كان اللقاء يتم مرة واحدة أسبوعيًا، نجتمع فيه صباحًا وحتى الظهر، لنا فقرات توزعها علينا الأخت المسؤولة، نتشارك فى إعدادها بحماس شديد فهى بدأت دعوية روحانية. ثم تقوم الأخت المسؤولة عنا، أى عن مجموعة المسجد، وكما هو متبع برفع التقارير للأخ المسؤول عما تم إنجازه فى الخطة الموضوعة مسبقًا من قِبل الرجال.

عدت مرة أخرى إلى تلك المرحلة التى لا تخول لنا معرفة أى شىء، أو أى شخص غير المسؤولة عنا التى لا تتحدث إلا فى برنامجها الدعوى التربوى الذى لا بد أن تنجزه معنا فى المسجد والمناسبات الدينية والمسابقات الثقافية، وغيرها من الأنشطة العامة التى تهدف إلى استمالة المواطن العادى وجذب انتباهه لما يقدر الإخوان على فعله، وزرع فكرة أن الإخوان هم ألصق تيار بالشارع وأكثر إدراكًا لمشاكله اليومية.

كانت التكليفات فى تلك المرحلة تكشف استعدادات المتلقيات فى مجموعة المسجد. وفى الوقت نفسه، كانت تلك المرحلة فترة

تمحيص واختبار للزوجات، لمعرفة إمكاناتهن وما يقدرن على تقديمه لخدمة الصف فيما بعد، وعلى ضوء ذلك يتم انتقاء بعضهن كى يتم توزيعهن على مجموعات صغيرة جرى العرف الإخوانى على تسميتها أسرة.

فى تلك الفترة كان مسمى "زوجة فلان" هو التعريف الطبيعى بيننا، أنا زوجة الأخ فلان واسمى فلانة. الهوية هى (اسم الزوج) التى أعطتك تلك المكانة أو تلك الدرجة من السلم.

فى البداية كنت أقول اسمى فلانة مُدرِّسة لغة إنجليزية وأصمت، ولكنهن لا يكتفين فيسألن: زوجة من؟

إن وجدن أن الاسم حاز بعض شرف المعتقلات، زاد التبجيل والاحترام، ويزيد الاحترام أيضًا لو كان اسم الزوج معروفًا فى تجارة كذا أو مجال كذا.



تعبئة الأُسَر من أجل الانتخابات واستقطاب الأصوات

تم اختيار مجموعة من الزوجات من مجموعة المسجد ليتم تسكينهن فى أسر. كنا مجموعة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة ولنا مسؤولة، نلتقى فى بيت واحدة منا على التوالى وذلك فى يوم واحد فى الأسبوع اسمه يوم الأُسر. وفيه تجتمع الأسر كُلٌّ فى مكانها وفى منطقتها حسب ظروف الأخوات العضوات، فلو كُنَّ من ربات البيوت تكون اللقاءات صباحية، ولو كن من العاملات تحولت إلى لقاءات مسائية بما يناسب أوقات العمل .

فى البداية كانت المناهج بسيطة لا تخرج كثيرًا عن كونها منهاجًا تربويًا جميلاً لتربية الفرد روحيًا وسلوكيًا واجتماعيًا، والدروس التى يتم تداولها واحدة لا تدخل فى صلب التنظيم ولا فى الأمور الإدارية ولا فى التكليفات أو غيرها. كانت دروسًا ومناهج دعوية؛ ولكن الخيط الرابط لجميع اللقاءات والدروس هو التمركز حول الشعار "الإسلام هو الحل".

الإسلام هو الحل!

مهد الإخوان بهذا الشعار الطريق لأنفسهم بتوظيفهم للحس الدينى عند الأفراد الذين يتكون منهم الشعب الذى يريدون منه النصرة والتأييد.

فمن المعروف عن الشعب المصرى تدينه ؛ حتى وإن لم يكن دومًا تدينًا فعليًا يستلزم أداء الفروض الواجبة. ولكن على الرغم مما ننتقده من ممارسات لا تمتُّ إلى أى دين بصِلَة، يبقى دومًا الحس الدينى متواريًا حتى إذا ما استنهضه أحد تحت أى شعار، ظهر مفصحًا عن نفسه.

وعندما يرفع الإخوان لافتة "الإسلام هو الحل"، فهم يخاطبون الحس الدينى الفطرى، ومن ثَم من يهاجم الإخوان فهو يهاجم الإسلام بالضرورة، ومهاجمة الشعار سيكون قدحًا فى العقيدة الإسلامية لا فى الإخوان.

وهل يستطيع بعد ذلك أحد مهاجمة الإخوان الذين يرفعون راية الإسلام؟؟

وهكذا يتم طرح البديل الإخوانى كحل لما يواجهه المجتمع من مشاكل. وتتم صياغة الأمر بحيث يُقدم كجانب تربوى عام من الممكن أن يستمع إليه أى فرد فى أى مسجد أو برنامج تليفزيونى. اشتملت الدروس أيضًا على مفهوم الطاعة، الذى يُعد من وسائل التدجين الممنهج، بالتوازى مع تربية الأولاد ووصفات الأكلات وطرق التبرج وإبداء الزينة فى غرف النوم.

لم نكن وصلنا إلى مرحلة نكون فيها أخوات عاملات، حتى مسمى أخت لم نكن وصلنا إليه. فكما أن هناك مسميات للفتيات الصغيرات والأولاد مثل الزهرات والأشبال، هناك مسميات خاصة بالفتيات الأكبر سنًا قبل الوصول لدرجة أخت مثل زوجات، متدينات، محبات. وعندما تحوزين على لقب أخت، من الممكن إسناد ادوار أكبر لك فى الأفرع الأخرى والشُّعَب الأقل منك.أو تتحملين مسؤولية المساعدة فى مجال آخر يحتاج إلى بذل جهود مضاعفة مثل شعبة الإعلام التى تتحمل العبء الأكبر أثناء التعبئة الانتخابية، وما يستلزمها من طبع منشورات وبطاقات، وقوائم الأسماء، واستخراج البطاقات الانتخابية وإيصالها لغاية البيوت أيضًا.

أما التعامل مع العامة فيطلق عليه مسمى نشر عام، وهناك الفرع المختص بالجامعات والذى عملت فيه بعد ذلك.

المهم، بقيت هكذا حتى وجدت المسؤولة عن مجموعتى تضرب لى موعدًا فى مسجد ما حيث سيكون هناك احتفال بمناسبة دينية.

وفى المسجد، وجدتهن يقدمن لى التهنئة لأنى اجتزت تلك المرحلة، وأصبحت أختًا فعلاً، وتم تقديم الهدايا.

وجدت الهدايا أيضًا لا تخرج عن الخط المرسوم لجعل المرأة مجرد امرأة للفراش ولتربية الأولاد لا غير، كانت الهدايا عبارة عن بعض مستحضرات التجميل المتواضعة، وبعض أكسسوارات الشعر لا غير، فلا كتاب حتى ليتم الربط بين وجود المرأة ككيان مفكر ووجودها المميز الطبيعى كأنثى.

فى الوقت الذى كانوا ينادون على أسماء المحظوظات منا، كانت هناك بعض الوجوه التى علتها أمارات الضيق لأنهن لم ينلن شرف التصعيد مثلنا. ودُهشت وقتها لأن هناك من لم تصبح مثلى أختًا.

ولكن بعد ذلك عرفت آلية التصعيد من درجة لدرجة أعلى. فكل مسؤولة أسرة لها منهجها المفروض أن تنهيه مع مجموعتها، هذا المنهج تتسلمه من الأخت الأعلى مرتبة منها والمسؤولة عنها والتى لها شرف مقابلة الأخ المسؤول.

ثم تقوم بتكليف أعضاء أسرتها ببعض المهام الفرعية وهكذا دواليك. وفى أثناء ذلك تقوم برفع تقارير مستمرة عن كل واحدة فى مجموعتها أو فى أسرتها، ومدى تقدمها فى المنهج، ومدى جدارتها. ثم يأتى الحكم الأخير فى التصعيد للأخ المسؤول والذى إلى جانب تلك التقارير التى يتم رفعها إليه، هناك توصيات الزوجة على صويحباتها والمقربات منها.

وهكذا تركت من فاتهن التصعيد وأصبحت أختًا فى أسرة جديدة، لنا منهج متقدم ولنا تكليفاتنا داخل الأسرة نفسها وخارجها.

كان من المثير جدًا بالنسبة لى أن أجد النظام فى تلك الأسر مثل العجلة الدوارة، فأنت عضو فى أسرة، ولك مسؤولة، هذه المسؤولة عضو فى أسرة أخرى ولها مسؤولة وهكذا،أنت مسؤول ولك مسؤول عنك وهكذا.

ولكن مهما بلغ أمرك كأخت فاعلة أو عاملة، فكل شىء تفعلينه فى يد رجل أخ تُوكَل إليه مهام متابعة الأخوات وإصدار الأوامر لهن لمجرد أنه رجل.

كان من توابع التصعيد أن كان هناك يوم آخر إلى جانب يوم الأسر. اليوم الجديد يركز على الشق الإدارى. والذى تقوم فيه الأخت المسؤولة الخبيرة بتدريبنا على كيفية التعامل مع الخطة الموضوعة من الرجال، وتوزيعها على أشهر السنة وكيفية تنفيذها ووضع أو اقتراح الوسائل التى بها يتم تنفيذ الخطة.

كانت الخطة موضوعة دومًا من الإخوة الرجال بأهدافها ومحتوياتها والجدول الزمنى العام لها والمقررات المالية لتنفيذها، فمن الطبيعى أن يكون هناك ميزانية يتم الإنفاق منها على المطبوعات من ملصقات وكتيبات وإعلانات.

كانت المخصصات المالية التى يرصدونها دومًا للشق النسائى ضئيلة جدًا، وعندما كنا نبدى تلك الملحوظة كنا لا نجد غير التبريرات المائعة والحث على التبرعات الداخلية منا وممن نتعرف إليهم فى المساجد من العامة وغيرهم تحت نفس الشعار: الإنفاق فى سبيل الله والجهاد بالمال وأعمال البِرّ.

ومسمى أعمال البر هذا كان موضع نقاش فى يوم من الأيام. ففى يوم سبق انتخابات ٢٠٠٥ أقام المرشح الإخوانى سرادقًا كبيرًا فى قلب شارع محمد نجيب واجتمع فيه جمع غفير من البشر يشاهدون الحملة الانتخابية للمرشح. كانت هناك أخوات وفتيات

صغيرات يتجولن بصناديق ورقية لجمع الأموال من الحضور. وعندما سألت واحدة من الحاضرات فتاة هل هى أموال زكاة لتدفع زكاتها؟؟ وكانت الفتاة تعلم أن المال من أجل دعم الحملة الإعلامية للمرشح الذى لا يستحق أموال الزكاة، فلم تشأ الكذب، ولجأت إلى أخت متمرسة فى تلك الأمور، فأشارت عليها أن تقول إنها "لأعمال البر" وطبعًا الدعاية من أعمال البر بالمرشح الإخوانى.

وبانخراطى فى لقاءات اليوم الإدارى عرفت أن كل شىء موضوع مسبقًا كخطة شاملة من قِبل الرجال، ونحن فقط ننفذ ما اتفقوا عليه.

المرأة فى نظرهم حتى لو كانت من الأخوات لا تصلح كى تأخذ قرارًا أو لتضع حتى خطة العمل الصيفية مع الفئة التى تتعامل معها، ومن ثَمَّ لا تصلح للولاية أو تولِّى الحكم بالطبع . .

كنا نجد أحيانًا صعوبة فى ترجمة ما يريده الأخ الذى وضع الخطة إلى شىء واقعى، فكنا نتناقش كثيرًا والأخت الإدارية تمسك قلم السبورة وتقوم بالتخطيط ورسم الجداول والشرح للمفاهيم التى دومًا ما كانت تأتى عبارة عن الحروف الأولى لمسميات حركية مثل (ن ش)، أى نشر عام وغيرها.

فمثلاً يكون الهدف الأول للأسبوع الأول من شهر رمضان، فنقوم بترجمته عمليًا إلى عدة أشياء مثل تحضير كلمة، عمل مطوية، عمل بوسترز. أما تكلفة الطباعة وغيرها، فلا يعرف عنها أحد أى شىء غير الأخت الإدارية التى هى فقط المسؤولة عنها، وكذلك هى

المسؤولة عن شراء الجوائز التى كنا نوزعها فى المناسبات المختلفة لجذب الفتيات والسيدات للمسجد ولصفوف الجماعة.

تم تكليفى بالعمل مع طالبات الجامعة المتدينات المترددات على المسجد، ولكن كيف لنا أن نجمعهن ؟

كان ذلك يتم فى المناسبات الدينية حيث يتم نشر مجموعة من الفتيات المحبات أو الأخوات بغرض التعارف. ويقمن بدعوة الفتيات إلى حفل فى المسجد يتم ترتيبه مسبقًا، وفيه يتم التعارف عن طريق توزيع ما أطلقنا عليه استبيانات لمعرفة الآراء عن برنامج الحفل مثلاً، ثم الأسئلة المستهدفة من الاستبيان عن مكان سكناهن، هواياتهن وأرقام هواتفهن وغيرها من المعلومات التى كان يتم تفريغها بعد ذلك وتحليلها لمعرفة المجال الذى يناسب ميول الفئة المستهدفة، مع الحرص على الاحتفاظ بأرقام الهواتف، والتى أصبحت مهمة جدًا لضمان التواصل المستمر مع الفتاة عن طريق تكليف بعض فتيات الإخوان بالاتصال الدورى بهن ودعوتهن للقاءات يتم الترتيب لها، كل ذلك حرصًا على عدم خروجها عن نطاق السيطرة فى تلك الفترة التى يتم استخراج بطاقات الانتخاب فيها.

وأصبح موضوع الانتخابات الشغل الشاغل للجميع فى يوم الأسر الثابت أسبوعيًا، واليوم الإدارى، واليوم الخاص بالتكليفات.

فى كل يوم كانت هناك مجموعة أهداف يجب أن تتم، والطرق والوسائل المعينة للتنفيذ وهكذا، ثم التقييم لما تم أو لم يتم وسبب ذلك. ثم كتابة تقرير يتم رفعه إلى من يعلوك فى السلم الإدارى.

كانت الجهود مُنصبَّة على استقطاب الفتيات ممن فى سن الانتخاب، وإقناعهن بالتصويت للإخوان فى الانتخابات المنتظرة. كانت خير وسيلة للتأثير على المتلقين هو الجانب الروحانى وجعل الدين هو الخلاص لكل المشكلات، ومن ثَم فالإخوان هم من بيدهم الخلاص من كل المشكلات الحياتية، فهم يضمنون الجنة الأرضية والعلوية، ولكن كى تكون من الفائزين بالجنة عليك انتخابهم أولاً.

كانت الفتيات الجامعيات يحلمن بأزواج وبيوت سعيدة ومستقبل مضمون، وذلك كله كان يتم التركيز عليه فى الكلمات والدروس الدينية التى يتم إلقاؤها فى اللقاءات معهن.

ظنت الفتيات أن هذا هو واقع أسر الإخوان الداخلى، فكان من الطبيعى جداً أن يلذن بالصف الإخوانى ولو كنصيرات، عسى أن ينلن شرف تكوين أسرة مكتملة مثل التى يستمعن إلى مواصفاتها من الأخوات اللواتى أتقنَّ فن الخطابة والإلقاء وكيفية التأثير على المستمعات.

كانت الرحلات الترفيهية من الوسائل التى كنا نتبعها لجذب الفتيات، وكنا نضعها ضمن الخطة التى نوزعها وفق جدول يشتمل على الموعد والزمان والمكان، ونقوم بترتيب كل شىء حتى تنتهى الرحلة وقد أدينا فيها مجموعة من الأهداف المحددة. ومن الأماكن التى كانت مفضلة لذلك، الفيلاَّت فى المناطق البعيدة ذات حمامات السباحة والتى نقضى فيها يومًا كاملاً ما بين ترفيه وتربية إخوانية.

ومن تلك الرحلات رحلة يوم ٢٣ يوليو ٢٠٠٥ إلى ڤيلاً بحمام سباحة فى منطقة الكينج، وإلى شاطئ أبى قير ١٢ أغسطس ٢٠٠٤، وغيرهما.

ومن الطبيعى بعد ذلك أن نظهر كتنظيم بصورة براقة أمام الفتيات اللواتى سيصبحن عاملات جُدُدًا، مهمتهن الترويج للجماعة فى صفوف الطلبة فى المرحلة الثانوية والجامعة والخريجات كذلك.



تكريس فكرة الطبقية داخل صفوف الإخوان

رغم نظام الأسر الموجود بالفعل، فلم يكن من اليسير أن تختلط بأشخاص ملأت أسماؤهم دنيا الإخوان ضجيجًا. تظل تسمع عنهم وعنهن، ولا تلتقى بهن وبهم إلا فيما ندر؛ أدركت ذلك جليًا حينما انضممت إلى شعبة الإعلام.

ففى البداية عندما تم تصعيدى مرة أخرى لأنضم إلى شعبة الإعلام، فرحت لأنى اعتبرتها فرصة لأستغل موهبتى الأدبية فى خدمة الجماعة. اقترحت على المسؤولة عن شعبة الإعلام (ن) استغلال قصصى التى كتبتها للأطفال فى مجال الزهرات بدلاً من تلك القصص المعتادة فى الكتابة والتناول والتى يعتمدون عليها.

ولأنه لا يحق لى تجاوزها ومخاطبة المسؤول الإدارى مباشرة حيث إنه لا بد من مراعاة سلم الدرجات، سلمتها بعض القصص، وكلمات دعوية عن الصلاة والحج وغيرهما للطباعة كمطويات

وكُتَيِّبات، فأظهرت الترحيب، ولكنها أرجأت الرد حتى ترفع الأمر إلى المسؤول الإدارى. وانتظرت الرد لطباعة القصص فى دُور النشر التابعة للجماعة متبرعة بحقوق البيع والتوزيع، بل مساهمة أيضًا فى تكاليف الطباعة ذاتها.

وتكررت لقاءاتى بعد ذلك بها فى بيتها وفى أماكن انتشارنا وفى المساجد التى تشملها خطتنا، وانخرطت معها فى أنشطة شعبة الإعلام حيث كلفتنى بوضع المسابقة الكبرى فى رمضان، وعمل المداخلات فى التليفزيون، والتى دخلت ضمن خطة الإخوان للانتشار الإعلامى عن طريق استغلال الأفراد أو الأنصار فى إثبات تواجدهم الفعلى على الساحة وبصورة واسعة، قبل وبعد وصولهم إلى مجلس الشعب.

وكما هو متبع، أخبرتنى بأنها رفعت كل شىء للمسؤول عن الشعبة لأخذ الموافقة. وتمر الأيام وأنا لا أدرى أنها رفعت ما كتبته على أنه مجهودها الخاص فى شعبتها. وأصبحت المداخلات التليفزيونية التى قمت بها، من إنجازات شعبتها.

بل فوجئت بأنها تعلن عن عقد محاضرة عن كيفية القيام بمداخلة تليفزيونية؛ هى التى لا تعرف كيفية كتابة جملة عربية صحيحة نحويًا ولغويًا. كل ذلك مع تجاهل تام لكل ما قمت به.

وفى اليوم المحدد للمحاضرة وقفت (ن) وسط الجميع تستعرض بعض الجمل وبعض الأوراق المكتوبة على الكمبيوتر، فقط لأنها المسؤولة عن الشعبة وليس لأنها ذات خبرة. وقفت تتحدث عن

أشياء ورقية تثبت جهلها العملى بما يتم وما يجب عليك فعله قبل أن يعطيك معد أى برنامج الفرصة لتتحدث على الهواء.

كانت منتفشة لأنها كانت تعلم تمام العلم أن كل من أمامها من مستمعات فى هذا اليوم لا يطمحن ولن يستطعن حتى عمل مداخلة فى برنامج إذاعى لا تليفزيونى على الهواء؛ لاعتبارات المنطقة الرقيقة الحال التى يتم إلقاء المحاضرة فى مسجد من مساجدها وثقافة الحاضرات المتواضعة.

وعندما واظبت على المداخلة فى برنامج (ببساطة)، تجاهلت الأمر متظاهرة بأنها لم تشاهد البرنامج، عذرتها أول مرة ولكن عندما تكرر الأمر وقدمت مداخلات متنوعة فى نفس البرنامج عن موضوعات شتى مثل وضع جماعة الإخوان، وأنفلونزا الطيور، والتعديل الوزارى، والحج، وأحداث الإسكندرية الطائفية أبريل ٢٠٠٦، وغيرها وفى برامج أخرى ـ تكرر التجاهل.

ثم يأتينى الخبر من بعيد أن بعض كبار الأسماء سألوا عن تلك التى تجرأت وتحدثت فى حلقة المستشار مكى وسألته عن الوضع القانونى لحظر جماعة الإخوان بأسلوب محايد تمامًا. ويسرى الخبر على أنه من إنجاز (ن) فقط.

وكلما قدمت مداخلات فى برامج لها وزنها، زاد التجاهل، وتم استغلال الأمر دون علمى لتلميع شخص آخر.

لم أكن أريد تلميعًا، بل أردت أن أرى أن ما أفعله له قيمة فى منظور الإخوان المتكلس. أردت منهم استغلال كل ما أستطيع عمله.

لم أُرِدْ منصبًا مثل غيرى، أردت أن ينسب الأمر لصاحبته من باب الأمانة، أردت فقط من يستغل إمكاناتى كما يجب، لم أستطع تقمص دور الببغاء لأردد ما تعودن على ترديده دون جديد ودون إضافة.

أردت منهم تطوير نظرهم القاصر تحت أرجل منصب، أو درجة فى سلم التنظيم الثابت الجامد. كنت أعمل وبرأسى أن هذا يرسم صورة مشرقة للمسلمة المثقفة ويبعد صورة التخلف الملتصقة بالمرأة وخاصة المسلمة، كنت مثل غيرى ممن اعتبرن انضمامهن لجماعة الإخوان سيفتح لهم آفاقًا لخدمة الإسلام كرسالة حملت الحضارة بين تعاليمها. لم نكن نعلم أن هناك حسابات أخرى ونظرات أخرى تحدد دور كل فرد، بحيث لا ينتقل بفكره إلى ما وراء المساحة التى يتم رسمها له من مسؤول إدارى أخذ وضعه ويريد الحفاظ عليه وإثبات جدارته به.

عندما أخبرت بعض المقربات منى بما حدث ، فوجئت بالمدجنات منهن يفتوننى بالصمت طالما أن الأمر من أجل خدمة الصف. ووجدت أخريات يخبرننى بأنه شىء عادى تفعله (ن) كى تثبت أنها صاحبة إنجازات، ومن ثَم توثق أحقيتها وجدارتها بهذا المنصب المستحدث لزوم الدعاية الانتخابية.

ثم جاءت صدمة أخرى، فقد قامت بإعطاء قصصى لمسؤولة الزهرات، مع إغفال ذكر أنى صاحبة الأعمال القصصية، وبالفعل قمن بتداولها دون حتى إخبارى بالأمر، مكتفيات بتصويرها كأوراق.

وعندما أُتيحت لى فرصة معاتبتها فى الأمر تعللت بأنها رفعت الأمر للمسؤول وهو من أمر بكل شىء، ثم تبجحت وعرضت ترتيب مقابلة معه لأتأكد من كلامها.

ظهر جليًا أنها متأكدة من أن نتيجة المقابلة ستكون لصالحها والتى لن تخرج عن عبارة سيرددها المسؤول أن ذلك لخدمة الدعوة، ولا يهم الفرد طالما فى خدمة الجماعة، وعلىَّ أن أحتسب العمل عند الله.

فلديهم كل التبريرات التى تحيل دومًا إلى الجنة السماوية التى يظنون أن مفاتيحها بيد المسؤول الإدارى الذى لا بد أن تقول له سمعًا وطاعة، وأنت مغمض العينين مشلول الفكر مقطوع اللسان.

فى السياق نفسه، كانت الجماعة تتكفل بنشر كتيبات ومطويات لبعض الأسماء بعينها بحكم زواجها أو انتسابها لشخصية ما. لا يكتبن فيها غير بعض الأحاديث المنقولة وبعض الشروحات من كتب أخرى، مع التركيز أيضًا على الجنة العلوية، والزوج والإنفاق فى سبيل الله وخاصة فى فترة الإعداد لدخول البرلمان. ثم تقوم الجماعة بالطباعة فى أماكن تخصها متحملة تكاليف النشر والتوزيع لأشياء مثل غثاء السيل.

حتى فطاحل كُتَّاب الإخوان من مُنظِّريهم، كانوا يستغلون الأسر كمنافذ لبيع كتبهم، وتتنافس المسؤولات فى الترويج لكل كتاب حتى ترفع مستوى البيع فى أسرتها؛ فيكون مسوِّغًا من مسوغات تثبيتها فى منصبها أو تصعيدها لدرجة أعلى.

بات جليًا أن النظام الطبقى داخل صفوف الجماعة يقف عاجزًا جامدًا، لا يعرف كيفية التعامل مع من لديهم موهبة ما، ولا يهمه حتى أن يحتويهم مراعيًا نقاط تميزهم عن غيرهم، وأيضًا عاجزًا عن التعامل مع من لديه فكر جديد متطور، ولا يقبل حتى مبدأ مناقشتهم فيما يعتقدون، ولا يسمح بتصعيد أسماء جديدة لا تتمتع بميراث شرف الاعتقال. فهناك أسماء بعينها موصى عليها لاعتبارات كثيرة لا تمتُّ بصلة للجدارة والاستحقاق.

ولو تجرأ أحد على الحديث فى الأمر تكون التهمة جاهزة بأنك لا تتمتع بالإخلاص فى الدعوة وأنك تعمل للشهرة لا لوجه الله، وأن عملك شابَه رياء السمعة والنفاق. وكأن خدمة الدعوة تتطلب أن تدفن نفسك كى يصعد عليك آخر لا يستحق؛ فقط لتثبت أنك أخ أو أخت مخلصة فى خدمة الإخوان!

بل زاد الطين بِلَّة أن تلك الأسماء استفادت من تلك الدعاية المجانية والتلميع الفج لأسمائهن، فى إقامة مشاريع خاصة تحت مسميات مراكز مختصة بالسعادة الزوجية والاستشارات الأسرية، ومراكز التنمية البشرية، ودُور الحضانة.

تلك المشاريع الخاصة يتم الترويج المجانى لها بين صفوف البنات والفتيات لتشمل دورات فى كل شىء، من الزواج إلى فنون الماكياج والكروشيه وكل ما يأتى بنقود.

وأصبحت تلك المشاريع كالنار تنتشر بسرعة، وتزداد الدعاية المجانية لها فى كل اللقاءات، ومن تمتلك المشروع أصبحت فلانة

زوجة فلان مديرة مركز كذا للاستشارات الأسرية، ثم مراكز التنمية البشرية التى استفادت جيدًا من نظام الأسر كنوع من الدعاية الدائمة والمجانية فى كل مناسبة.

وفى الوقت نفسه، كانت الأسر نفسها طبقية التوزيع، فتلك الأسماء التى يتم تلميعها لا يُسمح لك بأن تكون فى نطاق الاجتماع بهن، فلك مستوى معين من الأسماء فقط، والفرصة الوحيدة لتلتقى بهن تكون فى حفل ما أو لقاء ما يتم دعوتهن إليه كضيفات يلقين كلمة الحفل كخبيرات فريدات براقات ألمعيات، حتى إذا تحدثن كن مثل غيرهن ممن لم ينلهن حظ التلميع، ويخرجن من اللقاء بزبناء جدد لمشاريعهن الشخصية التى أصبحت رائجة كباب خلفى للتمويل حين يخضع الرجال للمراقبة والملاحقة أو الحراسة.

ومن صور التكريس الطبقى فى التنظيم الإخوانى، فرص الزواج المميزة ، فبالإضافة إلى الأسلوب المتبع فى تزويج الشباب والشابات المعتاد بينهم، كانت هناك الفرص الذهبية التى تستأثر بها بنات المُبرَّزين منهم، تبعًا لمكانة الوالد الإدارية والمالية لو كان يعمل بالتجارة مثلاً، فتحصل المحظوظة على أفضل الخيارات، وتُذلل لها كل الصعاب حتى تفوز بأفضل العروض، لا يميزها سوى ميراثها من نفوذ ومال وبعض سنوات اعتقال والدها المناضل!!!

داخل الأسر ظهرت عقد النقص لدى البعض من المسؤولات اللواتى وجدن فى أسرهن أخوات لهن مكانة علمية وأدبية نتيجة

عملهن فى مجالات مختلفة مثل الطب والتدريس والهندسة، فى حين أن المسؤولة عنهن فى أحيان كثيرة أقل منهن فى هذه الناحية.

وهنا كان يظهر مدى التخلف فى إلقاء التكليفات على الأخوات، ليتساوى الجميع فى الأمر، فمثلاً يتم تكليف (ح) الطبيبة بعمل أشكال من أوراق القص واللصق وكتابة بعض العبارات عليها، لجذب الفتيات مثلها مثل أى فتاة صغيرة من الزهرات.

وتطلب منى (ض) القيام بزيارات منزلية لفتيات لا أعرفهن لتوصيل أوراق دعائية ودعوية وبطاقات انتخابية، مع أن هذا من الأمور التى تقوم بها الفتيات سواء من المحبات أو المتدينات. وعندما نعتذر يكون الأمر وكأنه مخالفة للشرع وأن ذلك تعالٍ وكبر وغرور وعدم إخلاص. لا يستوعبن أنه من اللائق أن يكون التكليف بما يناسب حجم المكلف وما يستطيع تقديمه.

كنت وغيرى نسهر فى مسجد الرضوان بميامى (قبل ضمه إلى الأوقاف)، نعمل الدعاية الساذجة من ورق القص واللصق استعدادًا لتوزيعها فى الأعياد والمناسبات التى يتم توزيعنا فيها على المساجد هنا وهناك وفق التوزيع الذى يراه المسؤول والذى لا يراعى فيه مدى القرب من منازلنا لتيسير أمور الانتقال؛ خاصة فى الأعياد التى كنا نخرج إليها قبل شروق الشمس لنكون فى استقبال النساء منذ صلاة الفجر.

وهكذا كنا نطيع وننفذ ونخدم (كعمال)، ويمر الوقت فى عمل أشياء لا فائدة منها غير أن يختبر التنظيم قابليتك لأن تلغى عقلك

وتلغى ملكة الإبداع والتطوير التى ربما تنازع أى فرد، بغرض العمل على ضياع شخصية الفرد المستقلة وإعلاء الطاعة العمياء لكل ما يصل إليك.

كان من مساوئ نظام الأسر الطبقى أن ظهر نوع من التنافس على تولى قيادة الأسرة، بهدف الحصول على مزايا التلميع الإدارى والصعود إلى طبقة جديدة لها من المميزات التى تجعل للمسؤولة عن الأسرة فرصًا واسعة للاختلاط بمجتمع الحرس القديم.

بدأت المكائد ونميمة النساء تنتشر لا يفرق أبدًا أن هذا مجتمع إخوانى ومن المفترض أن تختلف الأمور داخله، ولكنها كانت نفس الأمور العادية التى تحدث بين نسوة عاديات. وتكبر المشكلة وتطلب (ع) أن نزكيها لدى المسؤول الإدارى حتى تحتفظ بموقعها، وتنتشر النميمة تتحدث عن مخالفات جعلت المسؤول يعفيها من ترأُّس الأسرة وجعلها تعود كعضو عادى فى أسرة أخرى.

ومن الأشياء التى يتجلى فيها النظام الطبقى داخل التنظيم، ما يمكن أن نطلق عليه طبقية الاهتمام والإنفاق؛ فمن غير المتوقع أن تكون عضوًا من العمال المساندين وتحصل على الاهتمام الذى يحصل عليه عضو من الحرس القديم. فلو حدث لك حادث أو مات لديك أحد أو تعرضت للإفلاس أو للتسريح من عملك، يكفيك جدًا يوم من اهتمام بعض أعضاء الجماعة ممن هم فى نفس مستواك الطبقى داخل الجماعة، يأتون كزائرين ثم ينقطعون فور أداء الواجب.

أما لو كنت من ورثة المجد القديم، فلن يُغلق الباب من كثرة المساندين والمنفقين من رجالات الصف الأول والثانى وجوقة المرتلين من خلفهم. وسيكون وضعك المالى أفضل من عشرة أشخاص، وسيتكفلون بالإفاق على بيتك وعلى تزويج البنات وستكون دومًا من المناضلين الخالدين، رأيت هذا وعاينته فى فبراير ٢٠٠٦ عندما تُوفِّيت ابنة أخ راحل. كنا بصفة عامة ندور فى دائرة، يتلقفنا كل مسؤول لنسير وراءه، ونحن لا ندرى أن الحال أصبح متاجرة بكل شىء تحت اسم الدين ؛ ولكن لصالح فئة معينة فقط، مستغلين مراكزهم الإدارية ومعارفهم من داخل الصف الإخوانى الذى يعتبر مجرد أن يكون لك رأى مخالف هو خروجًا عن وحدة الصف.



إخوان غزة وإخوان مصر

كانت الهُوَّة تزداد يومًا بعد يوم، ما عرفته من فكر نظرى شىء وتطبيقاته أشياء أخرى، ما يقولونه شىء وما يمارسونه أشياء أخرى ولها جميعها مبررات وجيهة تبدأ وتنتهى بوجوب الطاعة من أجل وحدة الصف.

اكتفيت بالمراقبة الجيدة لما يدور حولى، أسمع عن زيارات لبعض الأسماء الرنانة من الداخل والخارج يحضرها فقط الكبار من الإخوة وزوجاتهم بالتبعية.

وتتعمد مسؤولة الإعلام إبعادى رغم أن هذا يقع ضمن نطاق عملى المكلفة به، كانت تخفى أى لقاء كى لا أحضره وتظهر هى فى مستوى أقل من المتوقع أو كى لا أقابل أحدًا تخشى على مكانتها أمامه.

الصدفة وحدها جعلتنى أحضر زيارة الشهيدة أم علاء زوجة الدكتور الشهيد نزار ريان ، والسيدة سهير الغول المعروفة بأم عمران الغول فى يوم ١٨ مايو ٢٠٠٦ فى بيت صديقة لى، وهى التى دعتنى بصفة شخصية للحضور فى بيتها، الذى جعلت به لقاءً دائمًا لأحد الأساتذة من الشيوخ مكتفية بهذا الدور ومبتعدة عن السلم الإخوانى والمكائد النسائية المعتادة.

فى هذا اللقاء أدركت الفارق الشاسع بين أن يكون لك قضية فعلية تناضل من أجلها، وبين أن تعيش كمرتزقة تتاجر بقضايا الغير.

عرفت الفرق بين أن تعيش من أجل أمنية بسيطة لا تتعدى النوم لليلة واحدة دون أزيز طائرة تزعج نوم أطفالك، وبين من تتحدث عن سيارتها الحديثة وأولادها الذين يتعلمون فى مدارس الإرساليات.

فى اللقاء رأيت وجوهًا متقدمة إداريًا لا يميزها سوى الأقدمية وانتمائهن لأزواجهن المبرزين. ظهر جهلهن التام بالطبيعة المتفردة للمرأتين اللتين تعيشان الواقع الفعلى للنضال والمعاناة بعيدًا عن درجات سلم الإخوان المصرى.

المرأتان من نموذج فعلى لا يتوافر إلا فى الأرض المحتلة ولا يمكن القياس عليه ، فهن يتحملن أَسْر أزواجهن واستشهاد أولادهن راضيات، وفى الوقت نفسه يمارسن مهامهن فى الحياة وتحصيل العلم لدرجة الماچستير.

وجدت أخوات الإخوان فى مواجهة امرأتين تعيشان كافة ظروف الضيق والبذل.

وجدت أخوات الإخوان متقزمات لا يعرفن عن أى شىء، يسألن عن الأكلات الشعبية وكيفية تحضير المحاشى. يستعرضن ذكريات الخطوبة والزواج وموديلات السيارات. وعلى الهامش يتناقلن أخبار الزواج الثالث للنائب البرلمانى، وخلافات آخر مع زوجته الأولى التى لم تتقبل زواجه الثانى بصدر رحب. ثم يوجهن الأسئلة الغبية للضيفتين عن كيفية قبول تعدد الزوجات لأزواجهن بصدر رحب وغيرها من أسئلة لا تثبت غير صحة مقولة ابن خلدون فى مقدمته (الترف مُؤْذِن بخراب العمران)، وهنا ليس خراب منزل ولا دولة، بل خراب كيان، خراب فكر وتنظيم، حينما يصل التقزم الفكرى والضحالة الثقافية ليختصر وجود نموذج للمقاومة جاء لاستكمال علاج الأبناء فى مصر فى محور علاقة الرجل بالمرأة.

بالطبع لم يكن غريبًا هذا السلوك من أخوات الإخوان؛ فهن نتاج تربية التنظيم الشائه الذى أفلح تمامًا فى محو كل شىء فى عقولهن وأبقى فقط على فكرة العلاقة الأبدية؛ ذكر وأنثى..

وسرت الثرثرة النسائية العادية فى حضرة نساء غير عاديات.

تناقلت الألسن النية لتصعيد واحدة من الحاضرات لمنصب إدارى لامع لأنها زوجة فلان. وكانت المشكلة أنها متواضعة الثقافة، ولكن لأجل عيون زوجها الإدارى المخضرم سيتم إخضاعها لسلسلة من الدورات والتأهيلات حتى تكتسب البريق المنشود. على الرغم

من أن هناك من هن أفضل منها فى هذا المجال، ولكن ينقصهن زوج له منصب إدارى متقدم ليرتفعن تبعًا له.

وحينما أرادت واحدة من مترفات الإخوان التظاهر بأنها مناضلة شجاعة عبرت عن أمنيتها لأن تقاتل فى صفوف المقاومة الفلسطينية، وتمنت عليهما أن تجعلا لها فرصة لو أمكن فى الاستشهاد. فما كان من أم علاء وأم عمران إلا أن أسكتتاها بأنهم هناك ليسوا بحاجة لمتطوعين من الخارج، لا يحتاجون لمن يحارب معهم، لا يحتاجون مقاتلين مستوردين، فلديهم الحجر والبشر! ولا يريدون سوى الدعاء والتعريف بقضيتهم وبمعاناتهم.

فى هذا اللقاء تحدثت مع أم عمران التى تنتمى إلى عائلة معجونة بالنضال الحقيقى، بذلوا من أجله حياتهم وبيوتهم وأموالهم. أخبرتنى عن أسرتها وعن كيفية استشهاد ابنها، وزوجها المعتقل وابنها المصاب الذى جاءت لتكمل علاجه فى مصر، وعن ظروف معيشتهم هناك.

كنت أسجل كل ما تقول منبهرة فتلك المرأة تعيش وتطبق ما لا يقدر على تقليده الإخوة المنظرون داخل أسرهم، بما يتوافر لهم من مزايا الأمن والبيت والمال.

تلك المرأة لا تتاجر بما تعيشه بالفعل من معاناة وتضييق، بينما إخوان مصر يتقوتون من قضايا الغير فى فلسطين وفى كل مكان تتوافر فيه الدعاية اللازمة لهم.

تحدثت أيضًا مع الراحلة زوجة الشهيد دكتور نزار ريان مطولاً بعد أن انتحيت بها جانبًا؛ تاركتين للآخرين تذوق الأطعمة والخوض فى قصص النساء المعتادة.

كانت من نوع فريد صغيرة السن، جميلة الوجه والروح، حدثتنى عن حبها لزوجها وأنها كانت تتمناه زوجًا، وأن أمنيتها الآن أن يكون استشهادها قبل استشهاده كى لا تعيش بعده. عندما تحدثت عن ابن دكتور ريان الشهيد ظننتها أمه، ولكنى فوجئت أنه ابن زوجة أخرى لزوجها.

فى نهاية لقائى بها أعطيتها هدية ذهبية كنت ألبسها فى يدى كتذكار منى، وتفاجأت بعدها بامتعاض البعض من الأخوات اللواتى اعتبرن هديتى تبرعًا وكان لا بد أن يمر عليهن أولاً ليرفعن به تقريرًا على أنه تبرع جاء نتيجة جهدهن الشخصى فى الدعاية لجمع التبرعات للحكومة المحاصَرة.

هذا اللقاء كشف لى أن هناك منظومة قيمية مختلفة تمامًا بين ما يُنظره إخوان مصر، وبين ما يمارسه رجال المقاومة الفلسطينية الذين أعتقد الآن أنه من الظلم والإجحاف أن نضعهم فى نفس تصنيف الجانب المصرى لما تبقى من مسمى جماعة الإخوان المسلمين.

ففى حين أن الجانب الضعيف يتشبث بوطنه مدافعًا عن أرضه ضد الاحتلال، نجد أن جماعة الإخوان عندما لم تجد لها عدوًا حقيقيًا تمارس عليه مفهوم الجهاد، اتخذت من حكومة بلدها عدوًا.

صحيح أن هناك أخطاء وممارسات سياسية نستنكرها جميعًا، ولكن عندما نستنكرها فمن أجل حبنا لمصر لا معاداة لها أو انتصارًا لنماذج مستوردة.

تلك النقطة بالذات كانت موضع نقاش فى واحدة من الجلسات التى جمعت بعض الوجوه ممن يتميزن فى الجانب الإدارى.

كان الحديث الإعلامى وقتها منشغلاً بحسن نصر الله ومناوشاته مع المحتل الصهيونى لجنوب لبنان، فوجئت بأنه أصبح أنموذجًا حتى لنساء الإخوان اللواتى أثبتن جهلهن التام بإيديولوچيا نصر الله التى يتحرك وفقًا لها، بل أثبتن أيضًا جهلهن بمبادئ الجماعة التى ينتمين لها .

بل بلغ الأمر إلى انفعال وتعصب للرجل الذى يملأ الدنيا بضجيج عن النضال والجهاد لا يساوى مقدار التطبيق الفعلى على أرضه المحتلة؛ تمامًا كما يحدث فى مباريات كرة القدم التى يتم فيها غسيل مخ جمعى للغوغاء، وفى النهاية لا تسديد فى المرمى.

كنت أناقش إيديولوچيا نصر الله السياسية التى يحسبونها من أجل الإسلام والمسلمين، فقوبلت بالهجوم الشديد مدافعين عنه، وعن جهل لكل مرجعياته التى يتحرك وفقًا لها. وعندما سألت لماذا لا يطالب نصر الله بتحرير الأحواز العربية التى تحتلها إيران الفارسية مثلما يطالب بتحرير القدس ؟ لم أجد أى رد غير الهجوم من أجل الهجوم فقط دون حتى أن يعرفن أن الأحواز أو الأهواز أو عربستان أو خوزستان كانت أول دولة خليجية تنضم إلى عصبة

الأمم، وكانت تتمتع بالسيادة الكاملة ولها حكومة وحكام مستقلون حتى تاريخ استيلاء الفرس عليها عام ١٩٢٥ وقبل احتلال فلسطين بـ ٢٣عامًا.

لم أقبل أن يتحول الرجل إلى بطل قومى لمجرد أنه يهاجم مصر لأن الإخوان فى حالة صدام مع الحكومة. فالوطنية التى تحدث عنها الإمام كانت تتحدث أولاً عن الولاء للبلد الذى نعيش فيه، ثم للوطن الكبير الإسلامى؛ «ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية...، فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون فى سبيله ويُفنون فى هذا الجهاد لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه....» (مجموعة رسائل الإمام).

وفى موضع آخر يقول: ".. فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندافع عن مصر بكل ما نستطيع، وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادى بالإسلام ويهتف بالإسلام! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون فى سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسة النهضة المنشودة وأنها جزء من الوطن العربى العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام» (مجموعة رسائل الإمام).

وهكذا فى كل ثانية كنت أدرك الترف الذى يرفل فيه إخوان مصر اليوم، وأنهم مجرد مرتزقة لا قضية لهم، يستعملون قضايا الغير ويستغلونها إعلاميًا لإضفاء هالة من الاهتمام حولهم،

يوظفونها خير توظيف لخدمة هدف مرحلى هو نفسه بداية هدف أبعد، زحفًا نحو الحكم والانخراط السياسى بخطى متعجلة، قافزين على مراحل كان لا بد من إكمالها أولاً.

كان من الضرورى البدء ببناء الفرد المسلم، وهذه هى القاعدة الأولى والأساسية. وعند الانتهاء من هذه المرحلة بنجاح، يكون لدينا الأسرة المنشودة القائمة على أفراد تم بناؤهم جيدًا، ثم المجتمع الصالح. وإذا انتهينا بنجاح فمن الطبيعى أن يكون من هذا المجتمع دولة وحكومة منه بسماته التى تم بناؤها تدريجيًا. وهكذا حتى الوصول لدولة الخلافة، وهذا ما ذكره الإمام البنا بنفسه فى رسالته إلى الشباب:

"إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات... نريد أولاً الرجل المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردى. ونريد بعد ذلك البيت المسلم.....، ونريد بعد ذلك الشعب المسلم...، ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة....، ونريد بعد ذلك أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا العربى...» ويكمل حتى يتحدث عن استعادة دولة الخلافة الإسلامية ، ومن ثَم نشر الدعوة فى كل أنحاء العالم أو ما يعرف بأستاذية العالم، قائلاً: «.... فإن من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية.....، نريد بعد ذلك أن نعلن دعوتنا على العالم وأن نبلغ الناس جميعًا، وأن نعُم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار....» (مجموعة رسائل الإمام).

ولكن الإخوان تركوا القاعدة وهى بناء الفرد، وهذا لا جدال عليه، فأين الأفراد الذين يتصرفون وفق التكوين الفردى الذى حدده الإمام؟

وإن زعموا أنهم انتهوا من تلك المرحلة داخل الصف الإخوانى، فكم عدد الأفراد المنضمين تحت لواء التنظيم، وما نسبتهم إلى باقى المجتمع ؟

هل قصد الإمام بالفرد حين تحدث عن تربيته الفرد الإخوانى فقط؟ أم الفرد العادى فى الشعب العادى؟

(سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم، وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم...).

وبنظرة سريعة إلى المجتمع المتكون من الأفراد ومن الأسر، نجد أن هناك قفزًا على الخطوات أو المراحل التى تشكل منهاج الإخوان المسلمين كما حددها الإمام المؤسس.

أين مرحلة التكوين والتربية فى هذا الكَمِّ من التفسخ الذى نشاهده فى المجتمع؟

تجاوز الإخوان المراحل الأساسية متجهين إلى الحكومة والسياسة وجيَّشوا الجميع من أجل انتخابات البرلمان، وتركوا الفرد فريسة لنفسه أولاً والمغريات من حوله ثانيًا.

*

انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥

كنا نتحرك كالقطيع أو كالمُخدرين، ننفذ ما يمليه الرجال علينا، امامنا حلم سماوى نعمل لأجله فقط، فكما علمونا يجب ألا ننتظر حتى كلمة شكر، فالجزاء يوم القيامة. وفى نفس الوقت الذى سدقنا ذلك وعملنا من أجله احتسابًا للجزاء الأخروى ، كانوا يرسمون حدود جنة أرضية تبدأ من أعتاب مجلس الشعب.

كانت فترة تعبئة شاملة وأصبحنا لا نتواجد فى منازلنا إلا لفترات متقطعة قصيرة، كل يوم فى مكان ما، نتلقى التعليمات ونحفظ أدوارنا ثم ننتشر كلٌّ حسب موقعها وحسب الفئة التى نتعامل معها.

لم يعد هناك أحد يتحدث عن أن مكان المرأة الطبيعى هو البيت ورعاية الأطفال والتزين للزوج.

انقلب الحال فجأة، وأصبحت الانتخابات تندرج تحت مسمى الجهاد ورفع كلمة الله وأن الفوز بكراسى مجلس الشعب أول درجات الفوز بالجنة .

وأصبح دور المرأة أساسيًا كدعم لوجيستى وعلى كافة الأصعدة فجأة، لم يعد هناك مسمى القواعد من النساء، ولا قَرْنَ فى بيوتكن، ولا شىء سوى كراسى البرلمان.

وللحق، كانت تعبئة ناجحة جدًا لأنها اعتمدت على كافة المستويات المعنوية أو بمعنى أصح دينية دعوية، وبالفعل كانت من أنجح السبل للتأثير على العامة والغوغاء. تلك التعبئة وفرت لمرشحى الإخوان إمكانات وإغراءات مادية اعتمد عليها الآخرون دون فائدة كبيرة.

تم توزيع الأدوار على الجميع وبالتدريج الطبقى المعتاد تنازليًا من أعلى السلم حتى الوصول إلى أقل عضو فى الجماعة، ودون تخطى الدرجات أو السماح لأى شخص ليعرف مسؤولية غيره، أو حتى الاستفسار عن مسؤوليته المحددة من شخص آخر غير المسؤول الإدارى عنه.

خوض الانتخابات لم يأتِ بالطبع بصورة فجائية بل تم قبلها بفترة كافية للنزول والاختلاط بعناصر وفئات الناخبين، وتعريفهم بكيان الإخوان ككيان له ثقل ومن الممكن أن يكون كيانًا خدميًا متكاملاً.

وأصبحت حتى دروس المسجد موجهة نحو استخراج البطاقات الانتخابية والاتفاق مع مجموعة الفتيات للذهاب معًا وحثهن على

تشجيع صويحباتهن فى الجامعة أو من الجيران على المشاركة فى التصويت، وبالطبع لمرشحى الإخوان.

وفى الوقت نفسه، تم استخراج قوائم بأسماء من لهم حق الانتخاب، وتوزيعها على كل الأخوات كلٌّ حسب مكان تكليفها. ثم تم الاتصال بالجميع، وتمت مساعدتهن فى استخراج البطاقة الانتخابية، ثم معرفة أماكن اللجان الانتخابية والتنسيق مع الجميع لإيصالهم للدوائر الانتخابية التى يتبعونها بعد ذلك.

ومن كن يتواجدن بعيدًا عن أماكن اللجان الانتخابية تم التنسيق الكامل لنقلهن بسيارات وميكروباصات وحافلات بكل سهولة. وتم تذليل كل العقبات أمام الجميع الذين كانوا فى البداية متخوفين من المشاركة فى التصويت، ولكن بعد ما بذله الإخوان فى مرحلة التحضير اشتد الحماس على إيقاع الأصوات التى تعالت لتجعل المشاركة فى الانتخابات فرضًا من فروض الدين، وأن من يتخلف عن الحضور فهو كمن كتم الشهادة، وأن من يختار غير الإخوان فقد شهد الزور. وهكذا كانت حملة إعلامية منسقة شديدة الفاعلية على أعلى المستويات.

كنت وبوضعى فى لجنة الإعلام أتمكن من حضور بعض اللقاءات الاستثنائية التى أتى فيها مسؤول إدارى لتحديد خطط السير والتوقيتات الزمانية والمكانية. وعرفت دورى كمسؤولة عن الأصوات فى لجنة ما، ومعى بعض أرقام المحمول التى أطلقنا عليها أرقامًا محروقة، أى لن يكون لها أى وجود بعد انتهاء يوم الانتخاب.

وفى الصباح وقبل أن تفتح اللجنة الانتخابية أبوابها وصلنا ووقفنا فى أماكننا على باب اللجنة الانتخابية قبل غيرنا من فرق عمل باقى المرشحين، وانتشرت الفتيات ومعهن أوراق الدعاية فى الطرق المجاورة يوزعن الدعاية حسب الخطة المرسومة للتحرك فى هذا اليوم. وجاء أنصار كل الاتجاهات، وطنى ومستقلون وإخوان وغيرهم. نساء وفتيات الإخوان يعرفن أدوارهن بدقة شديدة، وعلى مقربة هناك مسؤول من الإخوة يراقب ما يجرى.

الأخوات يقمن بكل شىء، والإخوة المرافقون على البعد يراقبون تحسبًا لأى تحرش. وفى الوقت الذى حدده المسؤول كنت أتصل به من هاتف عمومى أخبره بعدد من جاء وعدد من صَوت لنا. وهكذا كان يفعل كل مسؤول للأصوات فى جميع اللجان، وهذا هو سر معرفة الإخوان بتقدمهم فى بعض اللجان أو فوزهم من قبل إعلان النتائج من قبل لجان الفرز. كان الكثير من الأفراد يأتون ولا يجدون أسماءهم، وعلى الفور نتصل بالأخ القائم على جهاز الكمبيوتر ليخبرنا عن مكان لجنته الانتخابية الصحيحة.

كان بعض الشباب التابعين لمرشح آخر يقفون معنا يوزعون هدايا دعائية على الناخبين وتأتيهم الوجبات الغذائية، ونحن على العكس تمامًا؛ فمن يأتى ليصوت لنا اليوم، قد تم التعامل معه بنجاح من قبل حتى بات ينتظر شبرًا فى الجنة بعد أن يصوت لمرشحينا. حتى أنا نفسى عندما سألنى مذيع من تليفزيون الإسكندرية أمام اللجنة التى كنت المسؤولة عن الأصوات بها عن السبب الذى من أجله

شاركت فى عملية الانتخاب، أجبته بنفس الحماس أنها ضرورة شرعية وكررت ما قاله رجال الدين من الأزهر وقتها عن رأى الشرع فى العملية الانتخابية.

فى هذا اليوم تجلى مدى الاستغلال الذى خضع له الجميع، أو الذى خضعت النساء له خاصة ؛ كنا فعلاً نعتقد أنه جهاد من أجل الدين ولذلك لم نشعر بالتعب ونحن واقفات دون راحة منذ الصباح وحتى موعد إغلاق صناديق الاقتراع فى الخامسة مساءً.

وبلغ الحماس بالبعض لتتشبث إحداهن بحقها كمندوب للمرشح على أن ترافق صناديق الاقتراع فى سيارة الشرطة حتى مكان الفرز، خشية أن يتم استبدال الصناديق فى الطريق. وقتها رأيت الجندى ينظر إلى جسدها العريض المكتنز متهكمًا من كيفية جلوسها بجوار رجلين فى الكرسى الوحيد الأمامى لسيارة النقل المخصص لاثنين، وهى بمفردها تحتاج لثلاثة كراسى!.

لم تشهد لجنتنا أى تحرش ولكن تداعيات الحوادث الدامية فى لجان مجاورة تطايرت فى وجه الجميع مع اقتراب موعد إغلاق صناديق الاقتراع، وعلى الفور توافد الرجال من الإخوان يقفون متراصين يحمون النساء ويمارسون أسلوبهم المعتاد فى الهتاف واستثارة المشاعر، فترتفع حناجرهم يهتفون للقضاة "إن فى مصر قضاة لا يخشون إلا الله".

ولم ننم ليلتها ونحن نترقب النتائج. وما إن بدأت الأنباء تنهمر من أمام كل لجنة فرز عن طريق الهواتف النقالة، حتى خرجت

الجموع فرحة غير عابئة بالأمطار الغزيرة التى كانت تنهمر وقتها على الإسكندرية، ونحن نتلقاها على رؤوسنا ونحن فى الشوارع التى ناءت بالأعداد الغفيرة لنساء الإخوان ورجالها من الصف الأدنى والأوسط، فكبار الصف لهم مسيرات قادمة سيتم الترويج لها جيدًا فيما بعد.

وتجاوزت مقاعد الإخوان الثمانين مقعدًا. أجزم أن الدور النسائى كان السبب الرئيس فى نجاح حملتهم الانتخابية ووصولهم لأولى خطوات تكوين دولة تنتهج أفكار الإخوان المطاطة.

وبدأ الإخوان مرحلة جديدة لن تتركز فيها جهودهم على استقطاب الكثير من الأنصار كما فى السابق، بل سيعملون جاهدين على أن يثبتوا للجميع أنهم جديرون بأكثر مما وصلوا إليه. ولذلك انصبت الجهود على إثبات حضورهم إعلاميًا عن طريق الاهتمام بالقضايا ذات اللغط سواء على الساحة السياسية أو الساحة الثقافية. عمل الإخوان أيضًا على تأصيل فكرة المشاركة السياسية وجعلها من ضمن مناهج الأسر وأهدافها، وتدريب الأعضاء والعضوات على مراسلة الصحف والمواقع الإلكترونية والشخصيات العامة كنوع من استعراض القوى ببث فكرة الامتداد العريض لجماعة الإخوان، وأنها هى الخيار البديل للحزب الحاكم لا غيرها من باقى التيارات الحزبية أو الفكرية.

*

استراتيجيات الإخوان الإعلامية

يزداد اهتمام جماعة الإخوان بالحضور الإعلامى يومًا بعد يوم، وهو اهتمام ليس وليد اليوم، بل نشأ مع بدء تكوين الجماعة وبأساليب متنوعة تتماشى مع معطيات كل عصر مع التركيز على استخدام كل الوسائل المتاحة.

فعندما ينخرطون فى عمل اجتماعى فهم يستعدون بكل الوسائل الدعائية والإعلامية التى تفوق حجم النشاط نفسه، وهذا من أسرار اهتمامهم بالقضايا الجدلية التى تحظى بمتابعة كبيرة مثل مصادرة كتاب أو مهاجمة شخصية عامة، أو القضايا الدولية التى تلقَى حضورًا إعلاميًا وشعبيًا ولا أبلغ من اهتمامهم بقضية فلسطين وانصرافهم عن قضية الأحواز العربية المحتلة مثلاً، فالأولى جيَّشوا لها المظاهرات والوقفات وهاجموا من أجلها حكومة مصر، والثانية لم يشيروا لها تمامًا لأسباب عديدة تلتقى جميعها فى انعدام المكاسب التى ستأتى من ورائها.

إلى جانب تخوُّفهم من استعداء إيران وفَقْد تمويل مادى أو معنوى يحصلون عليه منها.

جاء اهتمام الإخوان بالحضور الإعلامى كأسلوب فعال يثبت تواجدهم من جانب، ومن جانب آخر كوسيلة يضفون بها الشرعية على تواجدهم المحظور، ولذلك فى واحد من تلك الدروس الموجهة للخاصة وقف الأخ المسئول يقول:

"إن قضية الإعلام ليست مسئولية لجنة أو فئة بل هى دور وواجب عملى على كل الأفراد؛ سعيًا لأن نحقق الحضور المناسب لسمو دعوتنا وانتشار حركتنا"؛ وذلك بعد أن أكد على أن يكون"كل فرد فى الجماعة بوقًا إعلاميًا ومنبرًا متحركًا" وذلك لمواجهة الأعداء من خارج صفوف الجماعة :

"فلقد سبق الأعداء مبكرًا واحتلوا كل المنابر ولم يعد لدينا سوى أن نزاحمهم عليها أو أن ننشئ مسارات بديلة..."، وأضاف قائلاً: "إننا لسنا كغيرنا من الهيئات التى تمتلك الشرعيات والكيانات، بل نعمل تحت ظروف غير طبيعية ومع ذلك فقد حققنا نجاحات متتالية شهد بها العدو قبل الصديق".

ومع ازياد التواجد السياسى لهم بعد انتخابات ٢٠٠٠ و٢٠٠٥، أراد الإخوان توسيع دائرة الانتشار الإعلامى لهم، فلم يعد يكفى تواجد الرموز الإعلامية مثل الدكتور عصام العريان والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح فى وسائل الإعلام، ولذلك تم إنشاء شُعَب متخصصة يتم فيها تجنيد كل من له خبرة لتدريب الكوادر على

فنون الإلقاء والإقناع وطرق التأثير على العامة، وكيفية قراءة توجهات الفئة المستهدفة.

وبدراسة وسائل شعب الإعلام على اختلافها نجد أنها لا تخرج عن ثلاث وسائل؛ الوسيلة الأولى تتعلق باستثمار الماضى، والوسيلة الثانية تتعلق بتوظيف الحاضر ومعطيات تكنولوچيا الإعلام والاتصال لكسب الأنصار والمتعاطفين، والثالثة التأصيل الدينى الإعلامى.

أولاً: استثمار الماضى ودروس الهولوكست

تستثمر جماعة الإخوان اليوم معاناة الإخوة من الرعيل الأول خير استثمار. فهذا التاريخ الذى مضى من تاريخ الصدام مع النظام لا يتركه الإخوان يمضى هكذا. فهم يفعلون به تمامًا مثلما فعل اليهود بسنوات اضطهاد النازى لهم؛ يستغلونه جيدًا لتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية والمعنوية. فاليهود استثمروا تلك الحقبة كنوع من الابتزاز المادى فى المقام الأول، وذلك بعد عمليات الابتزاز العاطفى المنظمة والتى تم الترويج لها إعلاميًا وإخباريًا فى كل مكان وفى كل محفل وبكل وسيلة. والإخوان أيضًا يستثمرون الماضى كنوع من الابتزاز المعنوى والعاطفى والذى يتبعه الابتزاز المادى، الذى يأتى من داخل الصف أو من خارجه على هيئة تبرعات تحت مسميات عديدة.

يعيد الإخوان اليوم نشر تراث المعتقلات والتعذيب وكأنهم من نالهم الاضطهاد وحدهم، يُعاد نشر الكتابات التى تتعلق بأدب السجون والتى تؤرخ لسنوات الاعتقال لأعضاء الجماعة.يتجاهلون أن هناك من زاملهم المعتقلات ولم يكن من الإخوان بل ربما كان على النقيض تمامًا من الشيوعيين أو العلمانيين. وبنظرة سريعة لمواقع الإخوان ومدوناتهم على شبكة الإنترنت نجدها قد أصبحت نُصبًا تاريخيًا وحائطًا للمبكى، يكتبون فيها قصصًا تاريخيةً من أجل بث الكراهية وخلق حالة العداء الدائم للحكومة الكافرة التى تضطهد المسلمين الإخوان دون غيرهم.. وكل هذا يصب فى اتجاه واحد وهو الشحن العاطفى للجماهير وتكريس فكرة عداء الحكومة لهم، يسردون التاريخ من وجهة نظرهم. وكما هو معلوم أن للإخوان تاريخًا طويلاً وزاخرًا مع المعتقلات والسجون والاغتيالات بداية من العام ١٩٤٢ فى قضية قلب نظام الحكم الشهيرة التى اتُّهم فيها محمد عبد السلام فهمى، وجمال الدين فكيه اللذان كانا يواجهان تهمة الخيانة العظمى، وأنهما كانا كأعضاء فى الإخوان بصدد التعاون العسكرى مع القائد الألمانى روميل عدو الإنجليز التاريخى. ثم عمليات الاغتيال التى ورد فيها اسم الإخوان مثل اغتيال رئيسَى الوزراء أحمد ماهر ١٩٤٥، ومحمود النقراشى ١٩٤٨، والقاضى أحمد الخازندار. والقضايا الكثيرة التى حوكموا فيها مثل قضية حامد جودة، وقضية السيارة الجيب ١٩٤٨، وقضية نسف محكمة الاستئناف، وما تم فى حقبة ما بعد الثورة وما يطلق عليه الإخوان محنة ١٩٥٤، وهلم جرًا.

ولكن الفرق أن اليوم لا إنجليز ولا ملك يجاهدون ضده، ولا رجال ثورة ينازعونهم اقتسام السلطة، فماذا يفعلون؟

فلنسرد الماضى ونقبض ثمن معاناة ضحايا التاريخ !!

ثانيًا : الانتشار الفضائى لكسب التأييد

أدرك الاخوان إن مُناصِرًا واحدًا من خارج صفوفهم يُكْسبهم أكثر مما قد تحققه أسرة كاملة بأعضائها ومسئوليها، وتجلى هذا فى مقولة الإمام حسن البنا "كم منا وليس فينا وكم فينا وليس منا"؛ فلجئوا إلى توظيف تلك المقولة عن طريق استخدام كل وسيلة تبرز تواجدهم من ندوات ومؤتمرات داخلية وخارجية يستقطبون من خلالها المناصرين ويحتكون فيها بذوى الرأى والمناصب والمال، يعقدون الصداقات التى تعوض وضعهم القانونى المحظور.

تقرب الإخوان إلى البعض من أصحاب الأقلام من مثقفين وإعلاميين ليس فقط ممن ينتمون إلى أصوات المعارضة، بل نجحوا فى أن يكون لهم تواجد خفى فى مؤسسات ومنابر صحفية وإعلامية رسمية تعمل فى الخفاء مثلما فعلوا فى الماضى عندما زرعوا عناصر منهم فى الجيش والشرطة.

حرص الإخوان أيضًا على المجاملات فى المناسبات العامة ؛ ولا أبلغ من حرص سيف الإسلام حسن البنا على حضور قداس عيد الميلاد سنويًا ومشاركته أقباط مصر أعيادهم.

كما حرص الإخوان على فتح نوافذ لهم كى يكتبوا ويعبروا عن توجهاتهم، سواء بالرد على مقالات الغير المنشورة أو كنوع من التعريف بالجماعة. استخدموا بعض الصحف التى ارتبط اسمها بهم وتوقف بعضها بأمر قانونى مثل (الشعب وآفاق عربية)، أو التى ارتبطوا بصداقات نفعية مع أصحابها أو مع بعض الصحفيين بها. ولجئُوا أيضًا إلى شبكة الإنترنت بصورة موسعة عن طريق إنشاء المواقع والمنتديات والمدونات، فأصبح لكل فرع من فروع الإخوان سواء فى مصر أو خارجها موقع باسمها.

ومن الوجوه الإخوانية التى أدركت أهمية الغزو الإخوانى لوسائل الإعلام الدكتور عصام العريان،الذى حرص على التواجد والحضور إعلاميًا بصفة دائمة ومنظمة. فعندما سافر إلى لندن فى أوائل التسعينيات لحضور أحد المؤتمرات هناك حرص على زيارة القسم العربى بهيئة الإذاعة البريطانية، وتعرف إلى العاملين به وقدم لهم الهدايا التى كانت كفيلة بتوثيق الصداقات الشخصية التى أتاحت له الفرص الواسعة فى البرامج والمداخلات والتعقيبات والحوارات. هذا مثال فقط يفسر التقاطر الإعلامى الغربى قبل العربى على القضايا التى تخص أفراد الجماعة دون غيرها.

وهكذا اتبع الإخوان نفس تكنيك الترويج الإعلامى فى انتخابات ٢٠٠٠، و٢٠٠٥، فاعتمدوا على الترويج الخارجى أولاً للانطلاق نحو الترويج الداخلى. فمثلاً فى قصة ترشح أول امرأة ٢٠٠٠، قام المهندس على عبد الفتاح بهذا الدور حين سرب الخبر للصحف

ووسائل الإعلام العالمية. ولذلك كانت وسائل الإعلام الغربية هى من تنشر الخبر وتهتم به مثل الحياة اللندنية، والإذاعات مثل صوت أمريكا وبى بى سى وغيرها كثير.

ثالثًا : التأصيل الدينى الإعلامى

من الوسائل التى لجأ إليها الإخوان لإضفاء الشرعية الكاملة على تواجدهم هو التأصيل الدينى الإعلامى لكل خطوة من خطواتهم، وهذا ما تجلى فى انتخابات ٢٠٠٠ عندما ترشحت أول امرأة فى الانتخابات. وقتها كان لا بد من سند شرعى يتكئون عليه من أجل صرف النظر عن وضع المرأة الداخلى فى الجماعة نفسها الذى يبعدها عن أى منصب إدارى قيادى. ولذلك كانت أول خطوة قام بها الدكتور الزعفرانى صاحب فكرة ترشح امرأة فى الانتخابات، أنه حرص على الحصول على مباركة الدكتور يوسف القرضاوى، وقام بطبع بحثه عن جواز ترشيح المرأة فى المجالس النيابية :

"اتصلت بفضيلة الشيخ يوسف القرضاوى، وحين سمع صوتى هنأنى بحرارة قائلاً إن الجماعة فى مصر هى الجماعة الأم ولا بد أن تكون مصر محتفظة بريادتها وقيادتها... وقد استأذنته فى طباعة بحثه فى كتابه (فتاوى معاصرة) والذى جمع فيه الأدلة الشرعية عن جواز ترشيح المرأة فى المجالس النيابية فوافق على الفور».

وهذا أيضًا ما فعله الشيخ أحمد محلاوى عندما كتب بيانه مؤيدًا لمرشحة الإخوان تحت عنوان"نريد چيهانات لا چيهان واحدة".

وبهذا اكتملت الدائرة الدعائية عند الإخوان لأنهم وظفوا حواس الإنسان العادى، الذى تكفيه كلمة طنانة ومصحف فى يد فتاة أو طفل وفتوى من شيخ جليل ليُهرع إلى الدائرة الانتخابية يصوت لمرشح الإخوان حاجزًا لنفسه شبرًا فى الجنة التى رسمها المرشح ووثقها لدى علماء الدين الموثوق فى إخلاصهم.

ولا ننسى الأثر الفعال للشعار "الإسلام هو الحل "، فبهذا الشعار مهد الإخوان الطريق لأنفسهم بتوظيفهم للحس الدينى عند الأفراد الذين يتكون منهم الشعب الذى يريدون منه النصرة والتأييد .فمن المعروف عن الشعب المصرى تدينه؛ حتى وإن لم يكن دومًا تدينًا فعليًا ولكن يبقى دومًا الحس الدينى متواريًا حتى إذا ما استنهضه أحد تحت أى شعار، ظهر مفصحًا عن نفسه. وعندما يرفع الإخوان لافتة "الإسلام هو الحل"، فهم يخاطبون الحس الدينى الفطرى، وبالتالى من يهاجم الإخوان فهو يهاجم الإسلام بالضرورة، ومهاجمة الشعار سيكون قدحًا فى العقيدة الإسلامية لا فى الإخوان.

وهل يستطيع بعد ذلك أحد مهاجمة الإخوان الذين يرفعون راية الإسلام؟؟

أساليب الإخوان فى التعامل مع الأزمات

كان من الضرورى توحيد الجهود والوسائل لمواجهة المهاجمين لجماعة الإخوان فى وسائل الإعلام، وأيضًا للتعامل مع الأعضاء

المنتمين لهم الذين يقومون بخطوات وتحركات يثبت بعد ذلك أنها تضر بالجماعة أكثر مما تحققه من فوائد.

ومن الوسائل المتوارثة فى هذا الشأن التبرُّؤ من هؤلاء الأعضاء والتنصل من انتمائهم للجماعة. أو يزعمون أنهم منشقون وأنهم يتبرءُون من أفعالهم التى لا تعبر عن رأى الجماعة.

وهذا يشهد به التاريخ بداية بما حدث مع الطالب الإخوانى عبد المجيد حسن عندما اغتال محمود فهمى النقراشى، فما كان من رجال الجماعة إلا أنهم أدانوا عملية القتل وتبرؤوا من القاتل، وخرج الإمام ليقول: "ليسوا إخوانًا، وليسوا مسلمين".

وكذلك فى قضية مقتل القاضى أحمد الخازندار تبرءُوا من القاتل وأعلنوا أنه اجتهاد شخصى منه وليس بتوجيه منهم.

وهكذا يفعلون إلى اليوم. فمن يخرج عن فكرهم أو خططهم فخير وسيلة لمواجهته هى إنكار انتمائه أولاً، ثم محاربته بعد ذلك فى الخفاء وهم يتصنعون اللامبالاة، وذلك بإثارة الأقوال حول شخصه أو علاقاته أو أى شىء يرون أنه يفيد فى تغطية الموضوع الرئيس المختلَف عليه.

ومن الأساليب الحديثة التى نجحوا فيها وعلى شكل موسع، استغلال حماس الشباب من المُدوِّنين من خارج صفوف الإخوان ليصدِّروا صورتهم على أنهم الجانب المهيض المضطهد، فيقوم الشباب بالباقى وهم يظنون أنهم يناضلون ويجاهدون على أمل أن

يضمهم الإخوان إلى صفوفهم فيكتسبوا فرصًا للعمل والربح وغيره؛ ولكنهم يدركون متأخرًا جدًا أن لهم حدًا لا يمكن تجاوزه وأنهم قد أدوا أدوارهم وانتهى أمرهم.

أما مواقع الإخوان ومُدوَّناتهم فحدث ولا حرج. فهى تلقى بالتهم على المخالفين للجماعة، ومن الطبيعى أن تكون التهم دينية الأصل لتجريد المخالفين من صك الغفران الذى يمنحونه للمناصرين، فموقع الإخوان يتصدره موضوعات تحمل عناوين دينية تكفيرية للخارجين عن دائرة المديح لهم، على شاكلة "الهجوم على الإخوان سَبُّوبة المنافقين"، وهكذا فالمؤمنون هم الإخوان ومناصروهم ومن اختلف معهم فمن زمرة المنافقين، أو بمعنى أوضح "من ليس معنا فهو ضدنا". وللتوضيح أكثر، هناك محور الخير وساكنو الفردوس من الإخوان، وهناك محور الشر ممن يخالفهم الرأى.



الفصل الثامن

المرأة وأجندة الإخوان الانتخابية

فى الفترة التحضيرية التى كان يتم فيها حشد كل الجهود من أجل خوض انتخابات ٢٠٠٥، كثر تداول اسم مرشحة الإخوان عن دائرة الرمل فى انتخابات عام ٢٠٠٠ ، والتى حصل فيها الإخوان على ١٧ مقعدًا.

وبدأت الحملة الترويجية للجماعة فى صورة المرشحة فى الكثير من الفضائيات. تحدثوا عنها وكأنها بطلة تاريخية ناسبين الفضل لنظام الجماعة الذى يعطى للمرأة الحق مثل الرجال فى خوض معركة الانتخابات، وأنه لا صحة لما تردده وسائل الإعلام عن مكانة المرأة المتدنية أو التمييز الذى تعانيه داخل صفوف الجماعة.

وتحدث د.عبد المنعم أبو الفتوح فى وسائل الإعلام عن الوثيقة التى أصدرتها الجماعة عام ١٩٩٤، والتى قال إنها نصت على أن المرأة المسلمة يجب أن تشارك فى المجتمع على كل الأصعدة، ومن ذلك المشاركة السياسية سواء بالانتخاب أو الترشيح.

كان الأمر غريبًا، فقبل ذلك بالفعل لم يتحدث أحد معنا عن تلك الوثيقة التى تعطى كل الحقوق للمرأة المسلمة على الإطلاق. وتعجبت بالفعل فكيف ستأخذ المرأة (المسلمة) حقها فى المشاركة المجتمعية والسياسية إذا كانت فى نطاق الجماعة نفسها لا تحصل على أى حق، حتى فى أن تكون مسؤولة لها قرارها المستقل بعيداً عن سيطرة الإخوة الرجال وتدخلهم؟

هذا مع العلم أن الوثيقة المزعومة كانت مجرد تصور ذهنى أو موضوع إنشاء تضمن تخيلات وعبارات واسعة فضفاضة عن النساء الأُولَيات فى صدر الإسلام، دون الربط بين العبارات التنظيرية البراقة والواقع المعاش، ودون ذكر آلية محددة لكيفية حصول المرأة (المسلمة) على حقوقها على كل الأصعدة.

وعندما تطوعت الدكتورة مكارم الديرى بالترشح لانتخابات مجلس الشعب عن دائرة مدينة نصر فى انتخابات ٢٠٠٥، انبرى الجميع لتوظيف ذلك أيضًا زاعمين أن ترشيح امرأة كان على أجندة الإخوان السياسية من قبل.

تناسى الجميع أن أول تجربة لإشراك امرأة من الإخوان فى الانتخابات عام ٢٠٠٠ كانت مبادرة فردية طارئة خطرت على بال الدكتور إبراهيم الزعفرانى، كخطوة من ضمن الخطوات التى أراد بها تحسين النظرة الداخلية والخارجية لجماعة الإخوان.

فبعد أن أبطلت المحكمة الدستورية انتخابات مجلس الشعب لعام ١٩٩٥، والذى تبعه حل مجلس الشعب، وقبل فتح باب الترشح

لانتخابات ٢٠٠٠ سارعت جماعة الإخوان لإثبات تواجدها الإعلامى لجذب الأنظار، فقام المستشار مأمون الهضيبى النائب الأول لمرشد الإخوان العام والمتحدث الرسمى باسمها، بترشيح نفسه لخوض الانتخابات المزمع عقدها.

وفى هذه الأثناء التى تناولت وسائل الإعلام خبر ترشح المستشار الهضيبى، جاءت فكرة خوض المرأة معركة الانتخابات،ليس اعترافًا بحقها فى النضال أو التواجد كما للرجال، بل لجذب المزيد من اهتمام وسائل الإعلام ولفت الأنظار، وهذا ما ذكره الدكتور إبراهيم الزعفرانى صاحب الفكرة بنفسه فى مذكراته :

"ففى الإسكندرية حيث كانت لقاءاتى كثيرة مع أخى الحبيب مهندس على عبد الفتاح فى نادى الأطباء، فكرنا فى عمل غير تقليدى يكسر طوق التهديدات الأمنية ويدفع بوسائل الإعلام أن تبرز اسم الإخوان فى فترة الانتخابات وتعالج نقاطًا يعتبرها منتقدو الإخوان نقاط ضعف، وهما مكانة المرأة عند الإخوان المسلمين وعلاقة الإخوان مع الأقباط فى مصر، وتولدت فكرة ترشيح نساء فى هذه الدورة البرلمانية من الإخوان وكذلك التحالف مع الأقباط فى انتخابات الإسكندرية".

كان الدكتور يعلم جيدًا أن الوضع الداخلى للجماعة لم يصل إلى المرحلة التى يتقبل فيها مشاركة عنصر نسائى فى الحراك السياسى المرتقب، ولذلك كان عليه اتخاذ الكثير من الخطوات والمفاتحات لجميع الأطراف قبل أن يعرضها على مكتب الإرشاد

وكأنها عملية فدائية، فمازال هناك من يعتبر الأمر شيئًا مُشينًا، وأنه من العيب وغير اللائق أن يقبل رجل أن تترشح زوجته فى الانتخابات؛ وهذا تمامًا ما قوبل به اقتراح الدكتور، فالبعض رفض الفكرة، والبعض الآخر اعتبرها مزحة، والبعض الآخر قبل مع تحفظ.

- يكمل الدكتور الزعفرانى قائلاً:

"عرضت فكرة ترشيح نساء من الإخوان فى مجلس الشعب على مكتب إدارى الإسكندرية، وفى هذه المرة وجدت استنكارًا من البعض وقبولاً من البعض بل إن البعض استقبلها على أنها نوع من الفكاهة؛ حتى إن هذا البعض مازحنى خلال الجلسة بقوله: هل أنت تقبل يا إبراهيم أن تترشح زوجتك؟" وبعد مناقشات تم رفع الأمر إلى مكتب الإرشاد، وجاءت الموافقة بتعليمات إلى مسؤولى النشاط النسائى باختيار عدد من النساء للترشح لمجلس الشعب.

ورغم ذلك، فلم يكن لدى المسؤولين عن النشاط النسائى فى الإسكندرية أى ثقة فى جدوى الفكرة، أو جدوى المشاركة النسائية كعنصر فعال وتوقعوا رفض الفكرة من المسؤولات اللواتى يقمن بدورهن كحلقة وصل بين المسؤول الإدارى الذى يوصل تعليمات مكتب الإرشاد إليهن ليقمن بتوزيعها على شُعبهن وأسرهن، كما هو متفق عليه من تدرج طبقى. ولكن بعد عرضه الفكرة متوقعًا الرفض فوجئ بما لم يتوقعه من قبول، بل عبرت الأخوات عن رغبتهن التى طال انتظارهن لها فى أن يكون لهن دور فعال كامل.

"حكى لى زميلى المسؤول عن النشاط النسائى بالإسكندرية يومها إنه وبعد قرار مكتب الإرشاد ذهب إلى مجموعة الأخوات المشاركات فى المسؤولية عن النشاط النسائى بالإسكندرية وهو غير مقتنع إطلاقًا وعرض عليهن الأمر، ولكنه فوجئ بتحمسهن لهذا الأمر بل اعتباره جاء متأخرًا".

"تفاوتت آراء الإخوان فى بداية إعلان الخبر بين مرحب ورافض، تحكم هذه المواقف طبيعة كل فرد وبيئته وفهمه لمنهج الإخوان ومدى تخوفه من ردود فعل الآخرين، كما انتظر البعض تأكيدات القيادة ومباركتها. وكان أكثر أفراد الإخوان تأييدًا الأوساط النسائية حيث شعرن أنهن تقدمن خطوة غير مسبوقة فى المشاركة الإخوانية، فبعد أن كان دورهن مساندة المرشحين من الرجال أصبح منهن مرشحات.." (الزعفرانى).

كان على الدكتور الزعفرانى أن يتحمل نتيجة فكره السابق لأفكار الكثيرين من المسؤولين، فقدم زوجته السيدة چيهان الحلفاوى لتتحمل معه أول مغامرة من نوعها لخوض الانتخابات.

وكان من المنطقى أن يتم الترويج الإعلامى للأمر بصورة تماثل تلك التضحية إن لم تفقها، ولذلك كان الشو الإعلامى منظمًا ومكثفًا إلى أقصى درجة.

قبل فتح باب الترشيح بشهر ونصف بدأ المهندس على عبد الفتاح يستغل علاقاته وصلاته الواسعة بوسائل الإعلام؛ ليسرب للصحف ووسائل الإعلام خبر ترشيح الجماعة لنساء

ليخضن الانتخابات كخبر غامض بلا أسماء للمرشحات. حتى إذا اكتمل عنصر الترقب والتكهن وحمى الجدل، واقترب موعد الترشح، أفصح عن اسم المرشحة لمحرر الحياة اللندنية ليكتمل الشو الانتخابى الاستعراضى قادمًا من لندن لتتناقله وسائل الإعلام عنها.

وخاضت السيدة الحلفاوى الانتخابات لأنها زوجة الدكتور الزعفرانى، صاحب الفكرة الطارئة التى لم تكن أبدًا فى الحسبان ولا من مخططات الجماعة من قبل، حتى وإن زعموا ذلك.

وفى انتخابات ٢٠٠٥، كانت مشاركة المرأة أيضًا على نفس الشاكلة من نوع التفضل والتضحية والفداء، فالدكتورة مكارم وبحديث الجميع هى من تطوعت للقيام بهذا الدور غير الموجود على الأجندة الحالية.

ففى رسالة التأييد التى أرسلتها السيدة چيهان الحلفاوى للدكتورة الديرى تحية على (قرارها بخوض غمار العمل السياسى ممثلةً لجماعة الإخوان) ما يؤكد أنه كان قرارًا تطوعيًا من الدكتورة التى ورثت مجدًا أدبيًا ومعنويًا كأرملة لإبراهيم شرف القيادى وعضو مكتب الإرشاد السابق الذى تم اعتقاله عام ١٩٦٥، وظل معتقلاً حتى تم الإفراج عنه عام ١٩٧٤، وتزوج بالدكتورة مكارم الديرى وتُوفى فى سبتمبر من العام ٢٠٠٠. والذى تردد أنه كان المعنىَّ بالترشح فى الانتخابات لولا وفاته.

ولذلك؛ كان حريًا بالإخوان عدم الزعم أن الأچندة السياسية التى يسيرون عليها تضمنت دورًا مغايرًا للمرأة يختلف عن وضعها الحالى كتابع وخادم فقط.

فلو كان ذلك هو الواقع، فلمَ اقتصر الترشح على شخصية نسائية واحدة فقط فى عام ٢٠٠٥؟

لماذا لم يشركوا الكثيرات ممن أصبح لديهن الآن خلفية أفضل بعد التجربة الأولى٢٠٠٠؟

من المؤكد أن الموضوع كان مجرد فكرة طارئة لم يتم التخطيط لها. ولذلك جاء البرنامج الانتخابى للمرشحتين فى ٢٠٠٠ ، ثم ٢٠٠٥ مائعًا، فلا برنامج فعليًا أو تصورًا لمشروع انتخابى حقيقى له خطوات وآلية للتنفيذ. ومن ثَم اقتصرت الدعاية الانتخابية على مجموعة من العبارات البراقة عن المرأة والأسرة والبطالة وغيرها من المسميات لكل أنواع المشاكل التى تم حشدها معًا كموضوع إنشاء. وأصبحت الدروس الإخوانية الأسبوعية مع بعض عبارات البنا مشروعًا انتخابيًا لم يخرج عن الفكر الدائرى الذى يصل إلى نفس نقطة البدء؛ المرأة والرجل، والبيت والأولاد. وجاءت الدكتورة الديرى مفترضة أن المرأة حصلت بالفعل على كامل حقها فى أن تكون إنسانًا كامل الأهلية، بل مفترضة أن المرأة سلبت الرجل حقه فتطوعت مشكورة لتدافع عن قِوَامة الرجل، وتردد نفس كلمات الإمام البنا (المرأة شريك للرجل على كل المستويات ولكن دورها الأساسى هو أن تكون أُمًا صالحة تهتم بتربية النشأ."، وذلك بعد أن

أكدت رفضها "المفاهيم الغربية" التى تدعو إلى "القضاء على قوامة الرجل". وتطالب الدكتورة أيضًا "بزيادة الوعى السياسى للمرأة وبحقها فى ممارسة حقوقها السياسية دون تمييز".

وكالعادة، استغل الإخوان الأمر جيدًا أمام وسائل الإعلام فى محاولة مستميتة لتجميل الملف الخاص بوضع المرأة فى التنظيم تمهيدًا لطرح مشروعهم السياسى الزاحف نحو الحكم، مغازلين الجهات الحقوقية التى تأخذ عليهم وضع المرأة فى صفوفهم.

وبين هذا وذاك كان عليهم وضع بعض مساحيق التجميل على تلك العيوب التى تسببت فى توجيه النقد إليهم فى السابق فيما تعلق بملف المرأة . ومن تلك الانتقادات التنظيم الداخلى الذى يمنع المرأة من الوصول إلى عضوية مكتب الإرشاد، وهنا أيضًا حاول الدكتور الزعفرانى إدخال بعض التعديلات لمواجهة الانتقادات مثلما فعل فى شأن ترشح المرأة، فاقترح إشراك المرأة فى مكتب الإرشاد ولكنه لم يوفق بالطبع.

" كنت قد اقترحت على مرشدنا أ / مأمون الهضيبى (رحمه الله) ثم كررتها على مرشدنا الحالى أ / محمد مهدى عاكف بأن يصدر قرارًا بتعيين ثلاث أخوات بمجلس شورى جماعة الإخوان بمصر، بل رشحت لهم الأسماء إحداهن من الوجه القبلى والأخرى من القاهرة والثالثة من الوجه البحرى، ثلاثتهن تحدثن علنًا باسم الإخوان فى إفطارات الإخوان العامة ولكن يبدو أن الوقت لم يحن بعد. (الزعفرانى).

ورغم ذلك والذى يشير بصورة واضحة إلى القيود المفروضة داخليًا على دور المرأة والواضحة للعْيان، لجأ منظرو الإخوان إلى نفى التمييز الذى تعانيه المرأة فى صفوفهم.وكان خير وسيلة للتنصل من كل تلك الاتهامات هو إلقاء اللوم على أشياء بعيدة تمامًا عن النظام الداخلى للجماعة الذى أصابه الهرم والشيخوخة، فلجأ الإخوان إلى العادات والتقاليد، والصدام مع الحكومة كى يتبرؤوا من هضمهم حق المرأة فى صفوفهم.

أولاً : مراعاة للعادات والتقاليد

وهذا ما تحدث عنه محمد حبيب، نائب المرشد العام، الذى أشار إلى أن الجماعة كانت تريد إشراك المزيد من النساء، ولكنها مقيدة بأسباب منها الآراء المحافظة فى أجزاء من مصر. فهناك محافظات كثيرة لديها أعراف وتقاليد لا تحبذ ترشيح امرأة فى الانتخابات. ولذلك عندما وافق مكتب الإرشاد على ترشح امرأة فى انتخابات ٢٠٠٠، اشترط أن تكون من المحافظات المدنية لا محافظات الصعيد أو المحافظات الريفية.

ثانيًا : اضطهاد الحكومة

تنصل الإخوان من التمييز الذى يحدث ضد المرأة داخل الصف الإخوانى الذى يمنعها من الوصول لمكتب الإرشاد ولا يعطيها الحق فى اختيار من بيده أمور الجماعة من مسؤولى الشعب أو المكاتب الإدارية صعودًا نحو اختيار المرشد نفسه، ملقين باللوم على العادات

والتقاليد مرة، ثم مشترطين حصول المرأة على هذا الحق بإنهاء الخلاف مع الحكومة التى تضعهم فى خانة (المحظور).

وهذا ما ذكرته چيهان الحلفاوى مرشحة الجماعة فى انتخابات عام ٢٠٠٠ "..... ربما لا تحصل المرأة الإخوانية على مناصب قيادية عليا داخل الجماعة بسبب الحصار الأمنى على التنظيم نفسه".

وأضافت: "أصبحنا نسمع ونرى يوميًا اعتقالات وحملات مستمرة ضد الجماعة، وبالتالى يصعب عقد اجتماعات تنظيمية يتم من خلالها اختيار أعضاء مكتب الإرشاد مثلاً، فكيف فى ظل هذه الظروف يتم اختيار امرأة، ومع ذلك فقد رشحت الجماعة عددًا من النساء فى انتخابات مجلس الشعب، وكنت إحداهن، وشاركن بفاعلية فى عملية الانتخابات، وتم القبض على عدد من النساء واحتجازهن فى انتخابات ٢٠٠٠، وكان بينهن طالبات" (١٧ ديسمبر ٢٠٠٧، العربية نت).

وهذا ما أكدت عليه أيضًا الدكتورة مكارم الديرى فى قولها:

«إنه لا توجد موانع لحصول سيدة على عضوية مكتب الإرشاد، فى حال تجاوز العلاقة التصادمية بين الحكومة وأجهزة الأمن من ناحية، والجماعة من ناحية أخرى، مشيرة إلى أن عدم وصول سيدة حتى الآن لهذا الموقع ليس تقليلاً لوضع المرأة داخل الجماعة، ولكنه لظروف أمنية وحرصًا من الإخوان على عدم وضع المرأة فى مواجهة غير مأمونة قد تعرضها للأذى».

فى دفاعها عن النظام الداخلى لجماعة الإخوان الذى يضن بعضوية مكتب الإرشاد زعمًا بالخوف على المرأة، نسيت الدكتورة الديرى، أن فى كل الحملات الانتخابية سواء لمجلس الشعب أو المحليات كان لدور نساء الإخوان الأثر الأكبر فى الترويج للجماعة.فقد شاركت النساء فى كل الحملات مندوبات ومروجات ونصيرات، بل وأكثر من دور الرجال أنفسهم، وكل هذا أكسبهن خبرة، وعرفن معنى الاحتكاك برجال الأمن عن قرب وفى كل ذلك أثبتن جدارتهن. فكيف بعد أن أدت الأخوات دورهن السياسى بالفعل على المستوى الأكبر وهو المستوى العملى، تبقى النظرة القاصرة نفسها لها داخل صفوف الجماعة؟

لقد تعرضت بعض الفضليات من نساء الإخوان من الرعيل الأول للسَّجْن والاعتقال فأثبتن أنهن على قدر المسؤولية. فهل نساء الإخوان اليوم أفضل وأكرم من أولاد وبنات المرشد الراحل حسن الهضيبى فلا يجب أن يتعرضن لأى أذى؟ ألم تثبت الحاجة زينب الغزالى أنها أقوى من الرجال فى تحمل المحن؟ ولم تكن هى بمفردها فمثلها خالدة حسن الهضيبى وأمينة وحميدة قطب،وعلية الهضيبى وتحية الجبيلى؟ أم أن أخوات اليوم ليس لديهن إخلاص هؤلاء وغيرهن ممن تحملن نتيجة اختيارهن مثلهن مثل أى أخ؟؟ إلى جانب أنه لا ضمانات بالسلامة فلِمَ لا تشارك المرأة بدور فعال، وإن أصابها مكروه فعليها تحمله لأنه اختيارها هى بكامل حريتها؟

ألا يتسم الجو العام اليوم بالأمن إذا ما قورن بعهود سابقة لم تمنع الحاجة زينب الغزالى الجبيلى من العمل والجهاد العام؟ بل

تكون رئيسة لجمعية السيدات المسلمات التى أسستها قبل انضمامها لجماعة الإخوان المسلمين والتى حلها الرئيس عبد الناصر فى عام ١٩٦٤، وأن تكون لها مجلة باسم السيدات المسلمات التى أوقفت بأمر عسكرى سنة ١٩٥٨؟

كم سيدة من الإخوان أُلقى القبض عليهن منذ تأسيس الجماعة إذا ما استثنينا عهد الرئيس جمال عبد الناصر الاستثنائى والذى تجلىِ فيه الصراع على اقتسام كعكة السلطة والنفوذ ؟

ألم يَحِنْ بعد وقت التخلى ولو قليلاً عن التباكى على مذابح الخمسينيات وتخويف السيدات بها، والنظر بعين الأمل خاصة بعد وصول ٨٨ منهم إلى مجلس الشعب والشعور بالامتنان للنظام الذى وضعهم فى خانة المحظور وسمح لهذا العدد بالتمتع بالحصانة البرلمانية كأعضاء مجلس شعب؟

ربما كان من الذكاء من الإخوان فعل العكس تمامًا؛ أى الزج بالمزيد من الأخوات فى الانتخابات ومكتب الإرشاد ومجلس شورى الإخوان لوضع الحكومة فى مأزق الحرج أمام الشعب والعالم لو ألقت القبض على أى منهن؛ هذا لو كانت تلك الذريعة هى مسوغ إقصاء المرأة عن المناصب الإدارية.

لماذا يصر الرجال على ممارسة دور الوصى أو الإله فى تحديد دور العنصر النسائى؟ لماذا ينظرون إلى المرأة على أنها قاصر تحتاج إلى من يفكر لها ويتكلم بالنيابة عنها، ولا يكون عليها غير الموافقة على ما استنطقه على لسانها وإلا كانت ناقصة عقل ودين؟

سياسة الإقصاء التى يمارسها رجال الإخوان ضد المرأة ليست دفاعًا عن المرأة، بل هى انعكاس لفكر ارتد لما قبل الهجرة. ولنفترض جدلاً أن ذلك خوفًا على المرأة، فماذا عن الدرجات التى تسبق عضوية مكتب الإرشاد ؟ لماذا لم تحصل المرأة على حقها ـ لو أثبتت جدارتها ـ فى أن تكون مسؤولة مسؤولية كاملة غير مرتهنة بموافقة مسؤول أخ من الرجال؟

لماذا يستأثر الرجال بالجانب الإدارى التنظيمى ؟ ولماذا يقتصر دور المرأة على الطاعة العمياء فى تنفيذ ما يراه هذا الأخ الذى بيده تصعيدها إلى مكانة أعلى، أو تجميدها فى مكانها أو حتى معاقبتها؟ تلك المكانة المنقوصة للمرأة أشار إليها الدكتور يوسف القرضاوى بنفسه فى نقده للحركات الإسلامية ومنها الإخوان: «....... وسبب هذا فى رأيى أن الرجال يفرضون أنفسهم على النساء، فهم الذين يحركون المرأة وهم الذين يقودونها وهم الذين يضعون لها البرامج وهم الذين يتدخلون فى كل شىء، حتى إننى فى بعض الملتقيات وغيرها قلت لبعض الرجال: يا أخى لماذا؟ اتركوا الأخوات هن اللائى يقدمن المحاضر، هن اللائى يخترن الأسئلة.. لماذا يكبس الرجال على أنفاس النساء؟!».

وعندما تناول المشاركة السياسية الفعلية لمرشحة الإخوان، أكد الدكتور يوسف القرضاوى (أن هذه الخطوة جاءت متأخرة، وكان ينبغى أن تُتخذ منذ سنوات).

وقال أيضًا الدكتور القرضاوى قبل ذلك مشيرًا إلى التهميش الذى تعانيه المرأة فى صفوف الجماعات الإسلامية:

« المرأة لم تصل إلى المستوى المطلوب، وأنها ما زالت مُهمشة رغم أن المرأة أكثر إقبالاً على الدين من الرجل، هذا ما لاحظته بنفسى كأستاذ ومدرس بالجامعة أرى الطالبات أكثر إقبالاً على الدين وأكثر تفوقًا من إخوانهن الذكور، فلماذا لا نرى صدى هذا فى الحركة الإسلامية؟. فى الواقع إن الحركات الإسلامية لم تفرز قيادات نسائية وزعامات إسلامية نسائية كما أفرز العلمانيون للأسف».

وللحق، فقد بذل الدكتور يوسف القرضاوى جهودًا لتجميل وجه جماعة الإخوان المتعلق بنقاط الضعف المأخوذة على الجماعة، من كيفية تعاطيها مع المرأة والأقباط بفكره الذى يوافق أولويات العصر وتغيراته. يكفيه أنه إلى جانب تناوله موضوع المرأة داخل الجماعة، أنه تناول ضرورة تغيير بعض المصطلحات التى دأب الإخوان خاصة والإسلاميون عامة على تداولها، مثل مسميات أهل الذمة وما تعلق بها من مفهوم الجزية والمواطَنة :

"ولا بد من حذف كلمات ومصطلحات تاريخية من قاموس التعامل المعاصر، مثل كلمة (أهل ذمة) التى لا يقبلها غير المسلمين. فلم يتعبدنا الله بهذه الكلمات، وقد حذف عمر (رضى الله عنه) ما هو أهم منها، حين اقتضت المصلحة العليا ذلك، فحذف كلمة (جزية) حين طلب منه ذلك نصارى

بنى تغلب، وقالوا: إننا قوم عرب، ونأنف من كلمة (جزية)، ونريد أن تأخذ ما تأخذ منا باسم (الصدقة) ورضى منهم ذلك، معتبرًا أن العبرة بالمسميات والمضامين لا بالأسماء والعناوين. إن الاشتراك فى الوطن يفرض نوعًا من الترابط بين المواطنين بعضهم وبعض، يمكن أن نسميه (الأُخوَّة الوطنية) فكل مواطن أخ لمواطنه وهذه الأخوة توجب له من حقوق المعاونة والمناصرة والتكافل ما يستلزمه معنى الأخوة (أى الانتماء إلى أسرة واحدة)». (موقع القرضاوى، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٧).

أما عن كيفية إدارة الحملات الانتخابية للأخوات، فقد اتبعت الأخوات نفس الأسلوب المتوارث لاستقطاب الأنصار؛ أسلوب التباكى والشكوى من الاضطهاد الذى تمارسه الحكومة على الجماعة وعلى مرشحة الإخوان. صور الإخوان الأمر على أنه صراع الجماعة المؤمنة مع الحكومة الكافرة، وأن المرشحة تعانى اضطهاد الحكومة لأنها متدينة. فكيف لا تتعاطف معها قلوب البسطاء الذى رأوا الأمر على أنه معركة دينية من أجل الإسلام؟؟

وهذا ما أقره الدكتور الزعفرانى متحدثًا عن انتخابات٢٠٠٠:

" أما الأخوات فكانت لهن طريقتهن النشطة حيث ينتشرن فى الميادين والشوارع ويقتربن من كل امرأة تمشى ويحكين لها قصة المرأة المتدينة المرشحة التى تتحداها الحكومة لأنها امرأة متدينة. مما كان يدفع بالنساء وكذلك الرجال إلى التعصب لها والتعاطف معها والوقوف بجانبها".

وهكذا كنا نفعل فى انتخابات ٢٠٠٥، تنتشر الفتيات فى الشوارع فيما أطلقنا عليه قوافل دعوية يبادرن السائرات بالتحية ويتحدثن إليهن عن مرشحى الإخوان فى الانتخابات الذين يتحدثون باسم الإسلام وفى خدمة الدين. وفى العمارات السكنية تتكفل كل أخت بزيارات منزلية لجاراتها تؤدى نفس الدور مع الحرص على أن يأخذ الموضوع السَّمْت الإسلامى فى رغبتها بالتعارف إليها كجار قريب أو بعيد له حقوق، وفى سياق الحديث يتم الترويج للمرشح وتنتهى الزيارة وقد حصلت على صوت جديد ستتكفل بمتابعته وبالحفاظ عليه حتى يوم التصويت الفعلى.



الفصل التاسع



التنظيم المقدس والبشر المقدسون

بين بطرس الرسول وبطاركة الإخوان

كلما رأيتُ الاحتفالات والاحتفاءات التى يتم دس اسم الإمام حسن البنا فيها، تبادر إلى ذهنى بطرس الرسول. بطرس بشخصيته التى هيمنت على العصر الرسولى للمسيحية، وشكلت كتاباته التى جعلها على هيئة رسائل، الأساس الذى قام عليه فكر اللاهوت المسيحى.

وكما كانت رسائل بطرس زاخرة بالطابع الروحانى الذى كان وقتها الوسيلة الفعالة والناجحة للتأثير على العامة الذين ضاقوا بالحياة المادية والفساد المستشرى ، كانت أيضًا رسائل الإمام البنا.

وكما اهتم التابعون لبطرس برسائله وكتاباته إلى الحد الذى جعل منها أصل العقائد المسيحية، جاء التابعون من الإخوان بعد وفاة الإمام يريدون فعل الشئ نفسه . يريدون إرجاع كل شىء إلى

(قال البنا ولم يقل)، يريدون إعادة تشكيل المجتمع، وكل شىء ليوافق ما وضعه البنا فى رسائله وكتبه. يريدون وضع النسق الذى كان منهاجًا يناسب فترة الثلاثينيات والأربعينيات قبل مقتل الإمام فى فبراير ١٩٤٩، ثم اجتهادات التابعين من الحرس القديم ممن لهم نفس الفكر.

الفارق بين ما فعله بطرس وتلامذته، وبين ما تفعله جماعة الإخوان، هو أن بطرس دَوَّن ما لم يكن مدونًا، سجل بقلمه عن المسيح عليه السلام. أما الإخوان فكان لديهم القرآن والسنة، فاستعملوا سلاح الاجتهاد ليضعوا منهاجًا جديدًا باسم الجماعة مستندين على أصول شرعية لا تقبل النقاش كأصول، ولكنها تقبل الاجتهاد فى الفهم، وتجلى ذلك فى تحديد وتحجيم مكانة المرأة، والتنظيم الداخلى أو اللائحة الداخلية والتى تتعمد استخدام مسميات ومفردات إسلامية مثل البيعة والشورى وغيرهما لإضفاء هالة من القدسية عليها.

ولم يقتصر الأمر على الاتكاء على رسائل الإمام، بل لجئوا فى أحيان كثيرة إلى سياسة الانتقاء منها بما يوافق طموحاتهم الحديثة، تمامًا مثلما فعلت كل فرقة مع رسائل بطرس الرسول. ففى الوقت الذى اعتمد فيه مارتن لوثر على رسالة بطرس إلى أهل روما ليثبت مبدأه أن الخلاص يكون بالإيمان فقط بدون الأعمال، اعتمد غيره على رسالة أخرى لإثبات العكس وهكذا.

وكما هو معروف أن العهد الجديد يشتمل على ٢٧ كتابًا، منها ١٣ منسوبة لبطرس الرسول، منها سبع رسائل كتبها بطرس بنفسه والباقى كتبها تلاميذه ونسبوها إلى معلمهم بطرس؛ لأنها تضمنت موادَّ من رسائله الأصلية أو المفقودة منها.

هكذا الأمر اليوم بين الإخوان، رسائل الإمام موجودة وبجانبها مئات الكتب التى كتبها من أطلقوا على أنفسهم أنهم تلاميذه. كتبوا وألفوا مستفيدين من اسم البنا الذى لم يكن يعلم أنه سيكون كبطرس الرسول، يأتى بعده من يعطى لنفسه الحق لأن يكتب ويوقع باسم الإمام الراحل؛ وتطبع دور نشر الإخوانية الكتب وتوزعها داخل الأسر كمناهج ودروس إضافية وتكتمل دائرة التمويل الداخلى.

وكما فقد بطرس حياته وهو يدافع عن فكره الذى شكل به وجه العقيدة المسيحية وممارساتها حين أمر نيرون بقطع رأسه، فَقَد أيضًا الإمام البنا حياته برصاصة وجهها إليه من لم يَرُقْ له تنظيمه الطموح، وتُرك بعدها ينزف حتى الموت، قبل أن يكمل جهاده من أجل تحقيق فكرته وطموحه نحو مستقبل يؤدى به إلى استرجاع دولة الخلافة. ذهب بطرس وجاء بعده من أصبحوا بابوات وبطاركة يجمعون بين الملكوت الأرضى والسماوى، ظنوا أن بيدهم منح صكوك الغفران لمن يريد، ورحل البنا وجاء بعده أيضًا رجال مكتب الإرشاد الذين ظنوا أنهم فى مرتبة لا يجب أن يطمح إليها أحد، وأن كل فروض الطاعة والولاء لا بد أن تكون من المُسلَّمات.

وكما ظهرت مراتب متفاوتة من القساوسة، منهم من احتكر الغفران فى غرف الاعتراف، ظهر الإداريون من الإخوة الرجال الذى يتحكمون فى المناهج، وفى التصعيد، وفى كل شىء يتعلق بالمرأة، بل فى تصعيد الجيل الجديد من الشباب الذين فوجئوا بالنظام الداخلى الذى يكبلهم فى نفس الإطار القديم المتوارث.

وظهر من مُنظِّرى الإخوان من يعيد تفسير أقوال الإمام وتحميلها ما لا تحتمل، ويتجاهلون منها ما لا يوافق أهدافهم فى تلك المرحلة. فتخرج الكتب تفسر مرة تعاليم الإمام على أنها منهج تربوى لرجال التربية، ومرة أخرى على أنها دستور للحكم، وغيرها. فمثلاً نجد مثل هذه العناوين، منهجية البنا بين النهجين: الإصلاحى والتغييرى ، الإمام البنا والحقيقة القرآنية، الفكر السياسى للإمام حسن البنا. كل ذلك لتكثر المطبوعات والإصدارات التى تدر أموالاً على فئة معينة فقط.

بل إن أعضاء مكتب الإرشاد ومجلس شورى الجماعة أحاطوا أنفسهم، وأحاطهم المقربون منهم بهالة من القدسية تحرم حتى مناقشتهم أو مراجعتهم فى موقف من المواقف. وإن تجرأ أحد على ذلك تهب كتيبة العمال من شباب الإخوان لمهاجمته قدحًا وذمًا مناصرين للرمز الإخوانى متذرعين بالحفاظ على ميثاق الجماعة ووحدة الصف؛ مرددين عبارات جوفاء اكتسبوها من خلال تربيتهم الإخوانية القائمة على إلغاء العقل الناقد المفكر وإعمال العصبية لرمز وكيان أَسْمَى وهمى اسمه جماعة الإخوان المسلمين؛ مما

أوهـمـهم أنـهم وحـدهـم يـحتـكـرون الـدين وأن المـسـاس بـالـكـبـار هـو مساس بالدين نفسه.

وجاءت مشكلة دكتور عصام العريان خير مثال على إشهار مبدأ القـدسـيـة كـسـلاح لـلـتـخـلص من الـبـعض، والـقـدسـيـة هـنـا كـانت لـ"اللائـحـة ". فـقـراءة عـابـرة لما حـدث من رفض تـصـعـيـد الـدكـتـور عصام العريان لعضوية مكتب الإرشاد يفصح وبجلاء عن هيمنة الحرس القديم على الوضع الداخلى التنظيمى فى الجماعة، وعن عملهم الجاد للحد من تيار الفكر المنفتح على المجتمع والعمل العام الذى يتصدره العريان. وهكذا لم يعد خافيًا على أحد أن هناك هوة شاسعة، بل تيارات فكرية متباينة داخل الجماعة نفسها بعد أن استمات سدنة التنظيم فى نفى الأمر. فالأعضاء من التيار المتشدد يـسـيـطـرون عـلـى مـكـتب الإرشـاد والـذين أصـبـحـوا مـثل مـوظـفـى الأرشـيـف الـذين يـقـضـون الـوقت فـى تـفـسـيـر الـوثـائق والـلـوائح والمذكرات، معتبرين أنفسهم ورثة المجد القديم للجماعة وحراسها من الزوال ولـذلك لا يجوز مناقشتهم ولا منازعتهم المناصب التى باتت محل نزاع ومداولة لا يدخل فيها كفاءة العضو ومدى إسهامه فى الإعلاء من شأن الجـمـاعـة، بـقـدر مـا يـدخل فـيـهـا اعـتـبـارات الطـاعـة الـعـمـيـاء والـسـيـر عـلـى الـفـكـر المتكلس المحصور فـى حقبة عصر الخلافة الإسلامية المنقرضة.

وجـاء رفض انـضـمـام الـعـريـان لمـكـتب الإرشـاد تحت ذريـعـة الاختلاف حول تفسير اللائحة؛ اللائحة تلك الكلمة المطاطية التى

يتم تحميلها ما لا تحتمل من تأويلات لصالح قلة من رجال الصف العتيق من الإخوان. رفض أعضاء مكتب الإرشاد تصعيد العريان لعضوية مكتب الإرشاد تحت ذريعة عدم الرغبة فى مخالفة اللائحة، وبنظرة سريعة على تلك اللائحة التى تنظم الانضمام إلى مكتب الإرشاد سنجد أنها تنص على أن: (مكتب الإرشاد العام هو القيادة التنفيذية العليا للإخوان المسلمين، وهو المشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وإدارتها. ويتم اختيار أعضائه عن طريق الاقتراع السرى، ومدة العضوية فيه محدّدة بأربع سنوات هجرية، ويتألف مكتب الإرشاد من ستة عشر عضواً عدا المرشد العام، ويتم اختيارهم وفق أسس معينة)..

وعلى الرغم من النص الصريح الذى يذكر أن عدد الأعضاء ١٦، فقد قفز ليصل إلى ١٨، وهم: (مهدى عاكف، محمد حبيب، خيرت الشاطر، حسن هويدى، إبراهيم منير، محمود عزت، محمد بشر، عبد الله الخطيب، محمد بديع، جمعة أمين، محمد مرسى، رشاد بيومى، محمود غزلان، عبد المنعم أبو الفتوح، محمد هلال، لاشين أبو شنب، صبرى عرفة، وعلى لبن)..

ومع ذلك لم يُثِر أحد موضوع مخالفة اللائحة، بل تم تصعيد خمسة أسماء لعضوية مكتب الإرشاد بعد انتخابات جزئية، وهم: (سعد الكتاتنى- أسامة نصر- محيى حامد- محمد عبد الرحمن - سعد الحسينى)، وجاء عصام العريان فى الترتيب السادس.

وبذلك أصبح العدد ٢٣ أيضًا مخالفًا للائحة ولم يعترض أحد أيضًا. وعندما توفى محمد هلال أصبح العدد ٢٢، فأى ضرر لو أكمل عصام العريان العدد ٢٣؟ خاصة أنه وحسب اللائحة المقدسة فإنه فى حالة استقالة أو وفاة أحد أعضاء المكتب يتم تصعيد العضو الذى عليه الدور تلقائيًا ودون حاجة إلى إجراء انتخابات، إذا كان هذا الأخير قد حصل على نسبة أصوات تتجاوز الـ٤٠٪ من الأصوات وهذا ينطبق على عصام العريان.

إذًا لماذا الآن الحديث عن الاختلاف فى تفسير اللائحة وكأنها سِفْر من أسفار موسى المقدسة لا ينبغى مخالفتها؟ هل هناك موقف شخصى ضد العريان تم على إثره التذرع باللائحة؟ هل الشعبية الكاسحة التى تمتع بها داخل صفوف شباب الإخوان يمثل خطرًا على رجال مثل على لبن أو جمعة أمين ومحمود عزت وغيرهم؟ رفض العريان فى مكتب الإرشاد هو ترجمة واقعية لرفض التيار المحافظ المتشدد السلفى الهوى القطبى الفكر لنهج العريان المنفتح على المجتمع. فالعريان يجمع بين الجانب العلمى والعلوم الشرعية والثقافة السياسية، وهذا لا يتوافر فى أعضاء كبار فى مكتب الإرشاد نفسه الذين يقاومون تصعيد العريان وإنابة عاكف لمحمد حبيب لتولى مهام المرشد.

الأزمة الأخيرة لا تثبت غير أن الجماعة يسيطر عليها الآن الحرس القديم الذى يعيش تحت ظلال الماضى، الذى عاش منغلقًا بعيدًا عن المجتمع قبل فترة التهافت السياسى والانشغال

بالانتخابات، والتى كان أبطالها رجال من عينة العريان والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور إبرهيم الزعفرانى.

إن رجالاً مثل العريان والزعفرانى قد ساهموا فى رفعة شأن الجماعة والآن يلقون جزاءً مثل جزاء سِنمَّار. فعصام العريان الذى كان له فضل رسم صورة وردية للجماعة فى وسائل الإعلام الغربية وتقديمها على أنها الخيار الأخير نحو إصلاح العالم، يلقى الآن عنت الجمود والتخلف الفكرى لقيادات الجماعة الذى كان يستميت فى الدفاع عنها.

هؤلاء الذين يتشدقون باللائحة متنازعين فيما بينهم على الإدلاء بأحاديث هنا وهناك، أين كانوا عندما كان العريان يدافع عن جماعتهم فى كل الوسائل؟ أين كانوا والدكتور إبراهيم الزعفرانى يجوب الشوارع مع زوجته چيهان الحلفاوى المرشحة الأولى فى تاريخ الإخوان ليعالج نقطة من نقاط الانتقادات الكثيرة فى ملف الإخوان؟

سأجيب أنا بالنيابة عنهم كعضوة وناشطة فى شعبة الإعلام وكمسئولة الأصوات فى لجنة من لجان الانتخابات (سابقًا) وكانت تعلم تمامًا المكانة المميزة للدكتور العريان والدكتور الزعفرانى بين شباب الإخوان وصفوف الأخوات؛ فى الوقت الذى كان يجوب فيه الزعفرانى شوارع الإسكندرية مروجًا لمرشحة الإخوان، وفى الوقت الذى كان فيه العريان يجوب الفضائيات مروجًا للجماعة كان حراس اللوائح منشغلين بالتنظيم، والمناصب، والمكانة، وإلقاء

الدروس فى تجمعات السيدات، ووضع أسمائهم على أغلفة كتب يتم بيعها والترويج لها فى الأسر التربوية والاجتماعات الإدارية كمناهج دراسية للأعضاء.

الأزمة الأخيرة تثبت أن جماعة الإخوان طاردة لكل من له رغبة فى التطوير ومواكبة العصر الجديد، وتثبت أيضًا أن الحرس القديم المهيمن عليها سيساهم بشكل أو بآخر فى الوصول إلى الهاوية بعد أن نجح فى زعزعة ثقة الشباب الذين يرون الآن ما يخالف ما سمعوه من الكبار عن وحدة الصف ونقاء السريرة والحب والإيثار ومقاومة الهوى وتغليب الصالح العام على الأهواء الشخصية، تلك المسميات البراقة التى تربحوا من ورائها عقودًا. الطاعة العمياء التى فرضوها على الأعضاء تحت ذريعة وحدة الصف ظهر الآن أنها كانت مجرد مخدر للجميع حتى لا يطمحوا فيما فى أيديهم، فأين طاعة واحترام المرشد؟؟ فلم نكن نتخيل أن يوضع المرشد فى هذا المأزق، لم يكن من المتوقع أن يتم حتى مناقشة أمر ضم العريان لا رفضه، فإذا كان مثله يتم رفضه كعضو مكتب إرشاد فمن يستحقه؟

لم يكن شباب الإخوان وحدهم من أُصيبوا بالصدمة، فقد فوجئ الدكتور القرضاوى بالأمر أيضًا ليقول:

إن عدم تصعيد العريان "خيانة للدعوة والجماعة والأمة كلها". ورأى أن مثل هذا الاستبعاد "لن يُبّقى بالجماعة إلا المتردية والنطيحة وما أكل السبع".

لماذا أصبحت اللائحة الآن مقدسة فى أعين من رفض انضمامه لمكتب الإرشاد؟ ألم يتم اختيار الدكتور محمود عزت الذى يهيمن على التربية والتصعيد نفسه بالتعيين لا بالشورى والانتخاب؟

لقد بدأ الخلاف على المناصب داخل الجماعة التى ملأت الدنيا طنينًا بأنها تعمل من أجل الآخرة والفردوس. وبدأت الأصوات تعلو متهافتة على إثبات تواجدها الإعلامى لتزيل البساط من تحت أقدام عصام العريان، لا تعلم بأن الأمر قد أصبح ماسخًا علقمًا، فأى دولة خلافة يريدون الوصول إليها وقد ظهر الحرص على المناصب ومحاربة المخالفين فى الأسلوب الفكرى منذ البداية؟

أى فائدة من دخول مجلس الشعب والفوز بكراسى البرلمان ومنصب واحد داخل الصف الإخوانى يثير كل هذه البلبلة والخلافات والتصريحات المتناقضة هنا وهناك ؟ ألم يكن واجبًا من باب درء المفاسد احترام رغبة المرشد فى تصعيد العريان لمكتب الإرشاد؟؟



الإخوان بين السياسة والتربية

لقد كان للإخوان منهج تربوى دَعَوِّى قصدوا به الرقى بالمجتمع وأحواله عن طريق تربية أفراده أولاً تربية إسلامية صحيحة تسمو بخلقه وسلوكه.

"إن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها..." (مجموعة رسائل الإمام).

لم تكن لعبة السياسة والحكم من المراحل التى بدأت بها جماعة الإخوان ولا الدعوة المحمدية الإسلامية نفسها. ولكن الآن والفرد فى أمسِّ الحاجة لقبس من نور، يتركونه منشغلين بتعاطى السياسة ومنازعة الحكومة فى مرحلة هى سابقة لوقتها.

نعلم أن لحظة المواجهة مع الغير تتطلب مقومات ليست موجودة الآن. فلا عدد أفراد الجماعة يتلاءم مع عدد أفراد باقى الشعب،

والإحصائيات التى تشير إلى أعداد الجماعة، وعلى الرغم من أنها لا تخرج عن كونها استنتاجات، إلا أنها تدل على أن الجماعة وإن أثبتت تواجدها إعلاميًا فهى ليست بكافية.

ففى بعض التقديرات، فإن الجماعة تضم ما بين ٥٠٠ ألف إلى ٦٠٠ ألف عضو مسجل، يضاف إليهم ٤٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف نصير وداعم. ويشكل العنصر النسائى ما بين ٢٥، و٣٠ بالمائة.

هذا من جانب عدد الأفراد،أما من جانب العنصر المكانى، فالأرض التى يتحركون عليها لا تدين لهم بالولاء. ولم يصل الفكر العام لمرحلة التشبع بالفكر الإخوانى والذى يضمن المناصرة منه. وطالما لا تتوافر تلك المقومات فأى صدام مع الحكومة يُعتبر تعجلاً وتكالبًا على الدنيا والسلطان تحت عباءة الدين الإسلامى.

أتمنى فقط أن يعود الإخوان إلى الشق الدعوى الأساسى الذى قامت من أجله وعليه الدعوة. أتمنى العودة إلى تربية الفرد والانشغال بهذا أكثر من الانشغال بالسياسة التى أدت إلى سوء تربية أفراد الجماعة والانشغال عن المجتمع كله. هذا المجتمع الذى نعيش فيه لا يحتاج إلى قادة وسياسيين الآن، بل يحتاج إلى مُربِّين ومرشدين وموجهين يأخذون بيد أفراده.

ألا يشبه المجتمع الآن المجتمع الذى ظهرت فيه الدعوة المحمدية، لأول مرة بنقائضه ومغرياته؟

لماذا لا نبدأ مرحلة التكوين والتربية كما بدأها الرسول الكريم؛ بالفرد لا بتولى الحكم وفرض النفوذ؟

ربما يجيبنى أحد منهم أنهم يريدون السلطة من أجل أن تكون لديهم فرصة التغيير لما هو كائن من مثالب.

فهل بدأ الرسول الكريم بالاستيلاء على حكم مكة ؟

ثم ومنذ متى تؤثر الحكومات فى اقتلاع فكر آمن به المضطهدون من أفرادها؟

عندما قامت العلمانية فى تركيا، هل نجحت فى اقتلاع الدين من قلوب الأفراد ؟

ألا يُعتبر الأفراد الورقة الرابحة لنشر الدعوة لأى فكر جديد؟ فكم عدد الأفراد الذين من الممكن أن نعتبرهم قاعدة للانطلاق نحو هذا الهدف؟

أليس من الأجدر أن نربى الفرد من جديد حتى نعيد للأسرة كيانها الذى يتكون منه المجتمع؟

ألا نعتبر الصدام مع الحكومة الآن وفى هذه الفترة من الأمور التى تفرق وتضر أكثر مما تفيد؟

لماذا لا نعتبر أن هذه الحكومة وهذا الحاكم الذى نعترض عليه قضاء من الله فرضه علينا ويجب علينا طاعته طالما لا نملك القوة اللازمة لمصارعته، وإلا اعتبرناه انتحارًا لا طائل من ورائه؟ هذا حتى ننتهى من مرحلة تربية الفرد أولاً.

وإذا سلمنا أن الحاكم لا يوافق مُثُلَنا الدينية، أليس من الممكن أن نجد له مخرجًا فى هذه المرحلة وننصرف لتربية الفرد المسلم ونحن نهادن الحكومة بدلاً من حالة الصدام من أجل مشاركتها السلطة؟

.. فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يُؤْثِر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة". (١٧١/ رسائل الإمام/ دار الشهاب).

يقول المستشار الخضيرى: «أعلم أن هناك رأيًا فقهيًا يقول إن تولى القوى الفاسق الحكم أجدى وأنفع للمسلمين من تولى التقى الضعيف؛ لأن الأول قوته للمسلمين وفسقه على نفسه، أما الثانى فإن تقواه لنفسه وضعفه يضر المسلمين.........». (جريدة الدستور، ١١/ ١/ ٢٠٠٨).

ربما أجد إجابات عن تساؤلاتى المشروعة عند أى من المتحمسين المنظرين لتحركات الجماعة صعودًا نحو الحكم ومشاركة السلطة.



كلمة أخيرة

وأنا أكتب هذا الجزء الأخير، مما قررت أن أضعه على الورق، ألمح كمًا من علامات التعجب والاستفسار عن حياتى الشخصية. ولكن حياتى الشخصية ليست محور هذا الكتاب والذى يتناول فقط رؤية نقدية لأفكار اعتنقتها وعملت بها فى فترة ليست بالقصيرة من حياتى.

تلك الرؤية المغايرة اعتمدت فيها على الملاحظة والمقارنة والمقاربة لشعارات ألبسها الإخوان ثوب الدين الإسلامى، ولذلك

قامت رؤيتى على نفس الشاكلة ؛ ناقشت وقارنت معتمدة على ما ورد عن الرسول الكريم وأمهات المؤمنين، وما قاله رموز حركة الإخوان وتطبيقاتها. وهذا ليس بإثم ولا جريرة، فالإخوان ليسوا بمعصومين ولا فوق النقد والنقاش، وإلا كانوا مثل غيرهم ممن يدَّعون العصمة للأئمة.

وإن حكم علىَّ البعض بأنى أسأت فهم الرسائل والتحركات الإخوانية، فهذا ما وصلنى كفرد كان من المفروض أن يخضع لتربية صحيحة قائمة على الفهم والإقناع لا على الحفظ والتلقين والاسترجاع لمقولات وآراء فئة فقط دون أن يكون لنا حق المراجعة والمناقشة.

ولكن فى الفترة التى تلت نشر حوارى فى إحدى المجلات، ثم الفصل الأول من هذا الكتاب، لجأ الإخوان لسلاح الطمس والحجب، روجوا بالكذب والجهل أنى أكتب عن مشكلة أحوال شخصية، وغيرها من الأمور التى قصدوا بها ضياع الهدف الرئيس لتدوين هذه المذكرات؛ وهو النقد والمناقشة لأشياء يعدها الإخوان من التابوهات والمحرمات.

أى أنه تدوين لفكر، لا لعلاقة شخصية. وحتى إن قررت وضع حياتى الشخصية كاملة على الورق، فلم يَحِن الوقت لذلك بعد، فما زالت هناك صفحات مفتوحة وأشخاص لهم منزلة كبيرة فى نفسى أخشى أن أسبب لهم أى ضرر. هناك جوانب يجب أن تُذكر كاملة، ولا يصح أن أكتب جزءًا فقط وأطلب منكم أن تنتظروا التتمة معى.

ولكن أعتقد أن هذا الجزء الذى أسطِّره هنا كافٍ لإيصال صوتى إلى من يهمهم أمر الرسالة التى يتاجر بها الكثيرون حتى أوصلونى وغيرى إلى التمرد كما يقولون.

ولكن على الرغم من كل شىء فقد قلت كلمة حق لا أريد بها باطلاً، ولا أريد بها مصلحة من أحد فلم يقف بجوارى أحد، لا من أمن الدولة المُنحلِّ كما يزعمون، ولا من أطراف المعارضة التى يهمها ضرب الإخوان وزلزلة الأرض من تحتهم. ها أنا أقف وحدى.

يكفى أنى بتُّ أعرف أعتاب أقسام الشرطة أكثر من أعتاب المسجد الحرام، فى محاولاتى طلب الحماية أو حتى ترخيص بحمل سلاح للدفاع عن النفس.

لم تفلح نداءاتى للمرشد ولا لمن أسفل منه.

تركونى عندما شققت عصا الطاعة والولاء لهم.

فقط لأنى رفضت الازدواجية.. رفضت أن أعيش الزيف وأمارسه بتنطع مثلهم..

رفضت أن أكون مَهِيضَة الجانب ألبى طلباتهم واقتراحاتهم دون نقاش..

أنا باختصار أنموذج واقعى لفشل مشروع الإخوان للتقدم نحو منصة الحكم، فليس لديهم آلية ولا رؤية واضحة للتعامل مع المشاكل حتى أبسطها.

كثير من المشاكل لم يقدروا على التعامل معها، بكل مستوياتهم، وكل ما أردت هو إثبات شىء قائم بالفعل:

"أن لى هُـويِـَّـة، لـى حـقًـا، أنى إنسـان كـامل الأهـلـيـة، ولـدىَّ عـقل ناقد مفكر يرفض سياسة القطيع الممنهجة".

أخيرًا:

مازلت على قيد المقاومة.

فقط... أريد........... العيش بسلام!

انتصار عبد المنعم

الإسكندرية ٢٠١٠



الكاتبة:

انتصار عبد المنعم

- روائية وقاصَّة.

- عضو اتحاد كُتَّاب مصر ونادى القصة.

- حائزة على جائزة المركز الأول فى القصة القصيرة بمسابقة إحسان عبد القدوس ٢٠١٠.

الإصدارات:

١ ـ "عندما تستيقظ الأنثى" مجموعة قصصية/ المركز الدولى للتنمية الثقافية، القاهرة (نون) ٢٠٠٩.

٢ ـ "لم تذكرهم نشرة الأخبار/ وقائع سنوات التيه"، رواية/ دار العصر الجديد، القاهرة٢٠١٠.

٣ ـ "نوبة رجوع"، مجموعة قصصية (دار الكفاح ـ السعودية ٢٠١١).

٤ ـ "بوسع قلبى"، قصص وقصائد (پولندا) كتاب مشترك باللغة البولندية.

٥ ـ أعمال ودراسات أدبية ورؤى نقدية فى مجلة نزوى العمانية، أخبار الأدب، الثقافة الجديدة، أكتوبر، الفصول الأربعة الليبية، النهار اللبنانية، المجرة المغربية، قطر الندى وغيرها.

٦ ـ أعمال مترجمة إلى اللغة البلغارية والپولندية والفرنسية والروسية.

شاركت فى العديد من المؤتمرات الأدبية التالية:

مؤتمر مئوية جامعة القاهرة ٢٠٠٨، المؤتمر الأدبى التاسع "ثقافة النيل" حلوان ٢٠٠٩، الملتقى الدولى الخامس للرواية ٢٠١٠، مؤتمر "الثقافة المصرية وتحديات التغيير" يوليو ٢٠١١، ورقة عمل "الثقافة والإعلام محاولة لفض الاشتباك".

البريد الإلكترونى Intissar 1999 @ Yahoo. com

نماذج للاستبيانات التى عن طريقها كان يتم الحصول على أرقام هواتف الفتيات المراد تجنيدهن وعناوين منازلهن؛ وكذلك نموذج للخطط الصيفية والرحلات والبرامج. مع توضيح اقتران المسابقات بالحضور والجوائز والاشتراكات النقدية، وكيف يتم وضع برنامج دينى فى الواجهة ليصاحبه العمل السياسى المستهدف.



♥ بطاقة حب ♥

- *إسمك /*
- *رقم تليفونك /*
- *السنه الدراسية /*
- *هل أعجبتك الندوة*   نعم (   )   لا (   )
- *ماالذى أعجبك فيها ؟*

- *ماالذى لم يعجبك فيها ؟*

- *تمنينا لو التقينا مره اخرى أسبوعيا*
- *ماليوم الذى يناسبك :*

الخميس   نعم (   ) لا (   )
الجمعة   نعم (   ) لا (   )

- *كيفية الوصول إليك عن طريق /*

رقم تلفيفونك /   عنوانك /   طرق أخرى /

- *في داخل كل منا مواضيع وأسئله تودى مناقشتها فماذا*
  تقترحى علينا فى المواضيع القادمة . أن تكون في :

موصفات فارس الأحلام ــ مشاكل البنات ــ كبف أبنى وأبدأ التغيير ــ للمخطوبين فقط ــ أسرار البنات .

- *مواضيع أخرى ومقترحات /*

ـ نموذج لاستبيان يوضح كيفية الحصول على أسماء الطالبات
وأرقام هو التضمن دعنا دعين .



نموذج خطة صيفية تشتمل على الهدف والبرامج لحلقات المرحلة الإعدادية

الأسبوع	التاريخ	اليوم	الهدف					ملاحظات
	٧/٧ ٢٠٠٤م	الأربعاء	الوقت النظام الصفاء (احتجاب سلوك)	رحلة	(واحة أسيد)			
الخامس	٧/١١	الأحد	الجدية حرقة نتائج الجدية	قرآن حفظ تفسير ٤٣ - ٤٩	ثقافة بلا حدود (ش. يحيى عياش)	مسابقة، هل تعلم (جلاش بالبسطرمة)	أوراق (فقه الطهارة)	* تقييم الرحلة * عمل بحث
	٧/١٤	الأربعاء	العفة	قرآن تفسير حفظ ٥٠ - ٥٦	معاني الحسنة (طوق النجاة التقوى)	مسابقة، مشاركة (الرسم على الزجاج)	أوراق (فقه الصلاة)	
السادس	٧/١٨	الأحد	فلسطين إحياء القضية المقاطعة	قرآن تفسير حفظ ٥٧ - ٦٣	ثقافة بلا حدود (ع) الفصائل الفلسطينية	مسابقة، طرفة (كوكتيلة)	فضفضة (الأسرة: الأم، الأخت)	* الإعلان عن اليوم * جمع تبرعات (عينية، مادية)
	٧/٢١	الأربعاء	العفة المقاطعة	قرآن حفظ تفسير ٦٤ - ٧٠	معاني الحسنة أقرب الطرق (الدعاء)	مسابقة، هل تعلم (كوكتيلة آيس كريم)	فضفضة (حل) (الأسرة: الأم، الأخت)	* الإعلان عن الرحلة
السابع	٧/٢٥	الأحد	فلسطين المقاطعة إحياء القضية الإيجابية	يوم الوحدة الإسلامية				عرض الأبحاث الفائزة
	٧/٢٨	الأربعاء	العفة	قرآن حفظ تفسير ٧١ - ٧٧	ثقافة بلا حدود (ت) فاطمة عبد الملك أو السيدة عائشة	مسابقة، مشاركة (لوحة الورد)	أوراق (فقه الصلاة)	[illegible] الاشتراك
الثامن	٨/١	الأحد	الجدية الثقة بنصر الله فلسطين	قرآن حفظ تفسير ٧٨ - ٨٤	معاني الحسنة في مدرسة الرسل (الصبر)	مسابقة طرفة (أعمال)	أوراق (فقه الصلاة)	





مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة ساقية

عبد المنعم الصاوى

الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو

من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية
٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية
التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦
مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى - أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقاً

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة
٥ ش الثورة - المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

مكتبـــات ووكـــلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيـروت - الفـرع الجـديد - رأس بيـروت الحمرا - شارع الصيدنى - سنتر ماريبا
تلفاكس: 96101352596

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سـوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

دار المعارف
طريـق تونس كلم 131 المنطقـــة الصناعية بأكودة
ص. ب: 215 - 4000 سوسة - تونس .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض -
تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ -
هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرقية -
شـارع السـتين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جـدة : ٢١٤٨٧ - هـاتـف : المكـتـب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ - الريـاض: ١١٤٩٤ -
هاتف : ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية -
الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
هاتف : ٩٦٢٤٦٢٦٦٢٦ +
تلى فاكس : ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

الجزائر

١ - دار كتاب الغد للنشر والطباعة والتوزيع
حى 72 مسكن م. ب. أ. ع. عمارة هـ محل ٠٢ - جيجل - هاتف : 034477122 - فاكس : 034495967
موبايل : 0661448800

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg



هى ليست مذكرات شخصانية بقدر ما هى قراءة واعية لأدق تفاصيل أحد أبرز التيارات المطروحة على الساحة السياسية، كتبتها الروائية المتميزة انتصار عبد المنعم، كشهادة حية على تجربتها الذاتية حيث تم تجنيدها للانضمام لجماعة "الإخوان المسلمين". فى سطور هذا الكتاب تطرح المؤلفة عددًا من الرؤى النقدية للأفكار التى اعتنقتها خلال هذه الفترة، فهى لم تكن كالآخرين الذين تُملأ أدمغتهم بما يُصَبُّ فيها من آراء، بل كانت تُعْمل عقلها فى هذه الرؤى، وتضعها تحت مجهر منطقية الموروث فى مواجهة فوضوية المعاصرة، وهالها هذه الفجوة الكبرى بين الحق والانتهازية من جهة، وبين تعاليم الدين الإسلامى وما تطرحه الجماعة من استغلال بيِّن لهذه التعاليم للوصول لأهداف أبعد ما تكون عن هذه التعاليم السمحة من جهة أخرى، ولأنها تؤمن بأن الإنسان إن هو إلا نتيجة لاختياراته فقد انحازت للمنطق العقلى الذى ارتأته صوابًا، وتركت الجماعة رغم معرفتها بما يمكن أن تتعرض له من مضايقات كالتخوين والتشهير والترويج لأمور أبعد ماتكون عن لب الحقيقة وتصل لحد التهديد بالقتل، ليس هذا فحسب، بل قررت بجرأة الكاتب الحر أن تعرض تجربتها كاملة للقراء مهما كان ثمن هذا العرض ومهما كانت نتيجته، حتى إنها أصبحت تتردد على أقسام الشرطة أكثر من ترددها على مساجد العبادة، وحتى أصبحت قضيتها الأساسية هى محاولة استخراج ترخيص بحمل سلاح للدفاع عن نفسها.

كتاب بالغ الأهمية فى وقت حرج، لفتاة مسلمة مازالت تصر على ارتداء حجاب الوجه، لكنها خلعت تمامًا حجاب العقل الذى يحول دون المناقشة والتفكير، اللذين تراهما الأساس الحقيقى للحق والمعرفة وامتلاك اليقين، كتبته روائية بعينين تخشيان على حاضر وطنها وتؤمنان بمستقبله، فى واحدة من أكثر لحظاته المفصلية التى تضعه على عتبات حياة جديدة.

ISBN# 9789772070169

6 221149 022041

السعر ١٠ جنيهات